صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق – ص . ب (٢٥٧٠) هاتف ٣٦٢٩١

السنة السادسة
العدد الثاني عشر
آب ١٩٦٥

الدكتور انور نعمان

في ذمـــة الله

بقلم

رئيس التحرير

أجل لقد اصبحت يا أبا هشام في ذمة الله وسكن أخيراً ذلك القلب الكبير ، قلبك الذي وسع الحب والخير والجمال . وأغمضت تلك العين ، عين الاخ الوفي والصديق الحبيب .

في ذمة الله أيها الأخ الحبيب : لقد خلفت الحسرة في قلب الزوجة التي عرفت منك النبل وطيب النجار ، وفي قلب الابن الذي عرف بك الحب والحنان وفي قلب الصديق الذي آمن بوفائك وطيبك وفي قلب الشباب ممن عرفوا فيك احترام الواجب وتقديس العمل وصدق الرسالة .

في ذمة الله يا أبا هشام ! ودعك اخوانك بدموعهم الصادقة لإيمانهم بالفراغ الكبير الذي خلفته في بلد طالما تمنينا له الكثيرين من امثالك المؤمنين بحق بلادهم في الحياة الكريمة .

تغمدك الله برحمته وأوسع لك في جنته قدرما وسع قلبك في حب هذا الوطن وقدرما عملت في خدمته ورفعة شـــانه .

★ ★ ★ ★

العين الثالثة

بقلم : ميخائيل نعيمة

نحن من الكون في غربة دائمة. وهذه الغربة ابدا يلازمها الشعور بالانزعاج والقلق والشوق الى وطن تطمئن النفس اليه وتستقر فيه .

من غياهب الارحام الى غياهب الارماس يمشي الناس جيلاً تلو جيل فلا الارحام تنضب ولا الأرماس تمتلىء ولا القلق يهدأ ولا الشوق ينطفىء وما دمنا يسوقنا القلق ويحدونا الشوق فمعنى ذلك أننا لم نهتد بعد الى الوطن الذي نحن اليه ونشعر اعمق الشعور بأننا يوم نهتدي اليه نصبح ولا سلطان للقلق والشوق علينا . فالشوق والقلق لا يكونان الا حيث تكون الغربة . والغربة لاتكون الا حيث يكون الجهل . واذ ذاك فالوطن الذي نصبو اليه هو الوطن الذي ليس فيه اي شيء يتحجب عن مداركنا ويستعصى على ارادتنا .

ذلك الوطن اين هو ؟ وكيف السبيل اليه ؟

ليس من يدري بالتمام - ولا على وجه التقريب - مدى تلك الفترة من الزمان التي انقضت على الانسان منذ أن استوطن الارض . فهناك من يحصرها ضمن بضعة من السنين وهناك الذين يقيسونها بمئات الآلاف او بمئات الملايين . والذي نعرفه حق المعرفه هو أن الانسان مابرح ، منذ أن سكن الارض ، يحاول بكل قواه أن يجعلها وطناً يستقر فيه ويطمئن اليه ، ولكنه حتى الساعة لم يستقر ولم يطمئن . وهو لن يستقر ولن يطمئن مادام يحاول أن يهتك الحجب عن الأشياء قبل أن يهتك الحجب عن نفسه . فما دام الانسان يجهل الانسان دام العالم الذي يعيش فيه مجاهل في مجاهل . والغريب عن نفسه غريب أينما حل ، ولا وطن له. أما الذي يعرف نفسه فوطنه الزمان بآباده ، والفضاء بابعاده . ومامن شيء في الكون يبدو غريباً عنه ، ولا هو يبدو غريباً عن اي شيء في الكون . بل أن الاشياء تذوب فيه كما يذوب الملح في الماء .

اعرف نفسك !

تلك هي الآية الذهبيه التي رددها حكماء اليونان وغير اليونان منذ أقدم الازمان ، والتي يليق بنا أن نرددها اليوم وفي كل يوم . فنفس الانسان هي الوطن الذي الذي يعيش فيه أبداً وله وبه ومعه . وما دام يجهل نفسه فهو غريب اينما كان ، ولا قيمة لأي جهد يبذله في أي ميدان من ميادين النشاط البشري الا على قدر مايدنيه من معرفة نفسه . أما الجهود التي تقصيه عن تلك المعرفة فجهود باطلة ، وكثيراً ماتكون اصفاداً وأغلالاً لافكاره ، ومستنقعات لقلبه ، او شراكاً لضميره .

وكيف يحاول الانسان أن يعرف نفسه ؟

انه يسلك الى ذلك شتى المسالك. وأبرزها العلم والفلسفة والفن والدين . وأبرز هذه في نظره اليوم هو العلم ، فللعلم مركز الصدارة في العصر الذي نعيش فيه . ولا عجب فهو ألصق بحياتنا من الفن والفلسفة والدين . واذا هو امتنع الا على القليل من الناس فمنجزاته لاتمتنع على اي انسان . ففي استطاعة كل أهل الارض أن يلمسوها لمس اليد . وليس من لم يتأثر بها الى حد كبير او صغير .

ان ما انجزه العلم حتى اليوم ، وعلى الأخص في الزمان الأخير ، لفي منتهى الروعة . والذي سينجزه في المستقبل القريب والبعيد سيكون أروع فأروع . اللهم أن لا يركب الانسان رأسه فيدمر نفسه بما انجز علمه ، فلو قال لي قائل أننا بعد سنوات سيكون لنا موطىء قدم على القمر ، أو الزهرة ، او المريخ وغيرها من الكواكب لما استكبرت قوله . فسيأتي زمان نطأ فيه نجوماً كثيرة ونسخر من كل ما نعمله اليوم كما نسخر اليوم من أشياء كثيرة عملناها بالأمس وحسبناها في وقتها معجزات .

اجل سيمضي العلم بعيداً – وبعيداً جداً – في الكشف عن خصائص المادة والقوانين التي تخضع لها في سلوكها بعضها مع بعض . وسيكون لاكتشافاته أبعد الأثر في حياة الانسان على الارض وغير الارض . ولكنه لن يهدي الانسان الى وطنه – الى نفسه .

وكيف للعلم الذي يلقي اتكاله على العقل ، والذي يحصر همه في المادة ، أن يهديني الى نفسي ، ونفسي اكثر من عقل ؛ واكثر من مادة ؟ بل كيف للعقل الذي يتكل على الحواس الخارجية أن يخلق عندي الثقة فيه وفي الحواس الخارجية ما دام هو ذاته يدلني على أن الحواس معرضة أبداً للخطأ ؟ أليس أن الاشياء لا تستقر لحظة واحدة على حالة واحدة ؟ ليس ان الحواس هي كذلك اشياء وفي تغيير مستمر ؟ واذا ذاك فالصور التي تؤديها الى العقل عن الاشياء لا يمكن أن تكون غير صور ناقصة ومشوهة الا حد بعيد . فكيف اذا كانت الاشياء تفوق الحصر من حيث اشكالها والوانها وخصائصها وأوضاعها في الزمان والمكان ؟

والليس انني ، أنا الانسان ، قد انفقت آلاف السنين – بل ملايين السنين ؛ في رفقة الارض من غير ان اعرف الا اليسير من شؤوني وشؤون الارض أفيترتب علي كلما زرت جرماً جديداً من الاجرام الهائمة في الفضاء أن انفق في درسه ملايين السنين ؟ اذن متى تنتهي دراستي ، وفي الفضاء ملايين الملايين من الاجرام ؟ ومن يكفل لي أنني من بعد ان أدرس القمر – مثلاً – لن يقودني درسي الى نبذ – أو تعديل – كل ما اخبرته عن الارض والى درسها من جديد ؟ أو من يكفل انني اذا درست المريخ بعد الارض والقمر لن أراني مكرها على تعديل كل ما عرفته عن الارض والقمر ؟

واذا ذلك فلا نهاية لدرسي ، ولا أمل لي بالوصول الى المعرفة التي اصبوا اليها بكل جوارحي ، والتي اذا بلغتها بلغت وطني الذي هو نفسي . وإذا ذاك فأنا مقضي علي بان أعيش غريباً عن نفسي ومنفيا في كل مكان الجأ اليه في الكون وأن اتبرأ من نفسي وأشواقها فاحتم حتماً انها خدعة ماكرة وأن المعرفة التي أتوخاها سراب في سراب .

ومن ثم ؛ فاذا كان العلم هو الطريق المؤدي الى معرفة الكون ، وبالتالي الى معرفة النفس ، فكيف لي ولأي انسان أن نجمع المعرفة من أطرافها ، والعلم بات ذا شعاب كثيرة يستحيل علي وعلى غيري أن يسلكها جميعها من أولها الى آخرها . بل ان هذه الشعاب الكثيرة لم يبلغ أي منها نهايته بعد . فهو لا يزال في امتداد . وليس من يدري متى يقف عند حد . كيف لي أن أجمع في دماغي الكيمياء والفيزياء والطب وعلم الهيئة والحساب والجبر والهندسة وعلم النبات والحيوان وطبقات الارض وغيرها من العلوم الحديثة ؟

مانفعي أنا ونفع الملايين غيري من علم العلماء ، وخبرة الخبراء ، مادام علمهم ليس علمي وخبرتهم ليست خبرتي ؟ وليس يدنيني قيد أنملة من معرفة نفسي أن يقدم لي العلم منجزات في شكل سيارات وطيارات وراديوات وغسالات وبرادات ، أو في شكل قذائف صاروخية ، ومركبات فضائية فانا لا أستطيع أن اصنع أي جزء من اجزائها ، وان اتخذ منها مفاتيح لما اغلق في نفسي عن نفسي . وأي

خير لي في أن اطأ وجه القمر ، او أي كوكب في الفضاء، الا اذا كان في القمر او سواه من الكواكب مايستطيع أن يستل القلق من بين ضلوعي وان يطفىء شوقي الى وطني ،فيزرع في نفسي الطمأنينة ويغمرها بنور المعرفة ،فتغدو وليس فوق ارادتها ارادة ولا لشبح الموت أي سلطان عليها.

لئن صح لى أن أنيب احد الناس عني في قضاء حاجة من حاجات المعيشة ، كالبيع والشراء ، فلا يصح مطلقاً أن ن ينوب أي الناس عني في الاكل والشرب . فكيف معرفة نفسي ؟ ونفسي هي نفسي . وليس يكفيني معرفة بها أن يعرفها غيري . فعلم العالم هو علمه لا علمي . الا اذا أنا استطعت أن اجعله علمي . أما أن انتفع بالنتيجة التطبيقية لعلم العالم فما ذلك في العلم في شيء .

لا . ما أظن العلم ، على روعته وجليل شأنه فى حياة الناس ،بقادر أن يقود الناس الى المعرفة التي مابعدها معرفة وأعني معرفة الانسان لنفسه ، وبالتالي للكون المتمثل في نفسه كما يتمثل البحر في قطرة الماء ، والسنديانة في البلوطة . فسبيل العلم هو سبيل المناجذ في التراب . انه لسبيل بديع الهندسة ، كثير المنعطفات والمنعرجات والطبقات .ولكنه لايفضي الى النور . الا اذا اتفق للعلم ،كما يتفق للخلد احيانا ، أن ينفذ من سراديبه بغتة الى الهواء الطلق والنور البهي .

والذي أقوله في العلم لينطبق الى حد بعيد على الفلسفة فكلا العلم والفلسفة يعتمد العقل أولا في التفتيش عن المعرفة ، وما الفارق الا في أن العلم يحصر همه في درس المادة فلا يقر خاصة في خصائصها ، او قانونا من قوانينها ، الا اذا اثبته الاختبار الحسي بعد تجارب كثيرة يجريها في مختبرات تعج بالادوات البسيطة والمعقدة التي استنبطها لتلك الغاية . في حين ان الفلسفة تتناول المادة وما وراءها ، وتمحص استنتاجاتها على ضوء المنطق . ولان المنطق قد يخطىء حيث لاتخطىء الانابيق والمعايير والمقاييس والارقام ، ثم لان عين الفيلسوف قد تبصر في الاشياء وفي ماوراء الاشياء ماليس تبصره عين العالم ، فقد نتج عن ذلك ان « الحقيقة » الفلسفية باتت مقبوله عند بعض الناس ومرفوضه من البعض الآخر .

وهكذا بتنا و لدينا فلسفات كثيرة ، اذا اتفقت في جانب اختلفت في جوانب . وبات عندنا الكل فلسفة اتباع واشياع . وهؤلاء يكثرون ويقلون على قدر مالتلك أو هذه الفلسفة او تلك من هوى في قلوب الناس . وهكذا فحظ الناس مع الفلسفة لم يكن بأفضل من حظهم مع العلم . فلا الفلسفة هدتهم الى نفوسهم ، ولا هداهم العلم .

اما الفن الذي يتعدى حدود العقل والمنطق والذي يحاول ان ينفذ من خلال ظواهر الناس والاشياء الى بواطنهم وبواطنها فحال الناس معه غير حالهم مع العلم والفلسفة .ذلك لان الفن يخاطب قلب الانسان قبل ان يخاطب عقله . أو هو يخاطب القلب والعقل معاً . فلا يفوته ، اذا هو صفا ، أن يثير أنبل مافي العقل من افكار ، وما في القلب من عواطف . مثلما لايفوته واذا هو تعكر ، ان يثير أخس مافي الاثنين ، فهو في صفائه يشد بالانسان أبدا الى فوق ـ الى الاجمل والاكمل ، والى الابهى والاسمى ، والى الاصلح والابقى ـ الى المطلق . لذلك فهو يرهف الحس والذوق والوجدان ، ويجنح الخيال الى درجة يستحيل على العالم أن يرقى اليها . وأما الفلسفة فتتخلف عنها أشواطاً .

خذوا الآثار البارزة في الفنون المعمارية عند مختلف الشعوب وثنيها وغير وثنيها . انها ، في الغالب ، ترمي الى السمو بالانسان من كثافة المادة الى لطافة الروح ـ من المحدود الى غير المحدود . فالهرم الذي يبدو في منتهى الثقل والضخامة عند قاعدته يخف ويخف كلما أمعن في الصعود الى ان ينتهي بنقطة في الفضاء ـ انها نقطة الانطلاق والانعتاق انها الشيء وقد اصبح لاشيء . او قل انها المادة وقد تلاشت

أثقالها وحدودها في الزمان والمكان فباتت روحاً بـلا الزمان والمكان . وليس يثقله أي شيء .

ذلك المعنى عينه يتردد في منارات الكنائس الغوطية ، وفي مآذن المساجد الاسلامية مثلما يتردد في قباب المعابد الهندية والصينية ، وفي أعمدة الاكروبول وبعلبك . وحتى في التماثيل الساذجة التي تقيمها الشعوب البدائية لأصنامها فهذه جميعها التي تعبر عن شوق الانسان منذ اقدم العصور الى التحرر بما فرضته عليه المادة من قيود وحدود وسدود . انها الروح فيه يسعى الى الانعتاق والانطلاق من غربته ، والعودة الى وطنه .

ان يكن ذلك هو شأن الانسان مع الحجر يصنع منه المساكن والمعابد ، فشأنه مع ذلك الحجر يكون منه الصور البشريه وغير البشرية لاعجب وأدهى . ففن النحت الذي بلغ الاوج على أيدي قدمـاء اليونان والرومان ، ثم استعاد بهجتـه على أيدي رجال الانبعاث أمثال دافينشي وميكالانجلو وغيرهما ، لم يكن تصوير اللانسان من حيث هو جسد لا أكثر بقدر ما كان تعبيرا عن الروح العجيب الذي لولاه لما كان ذلك الجسد البديع .

والذي أقوله في النحت أقوله في فن الرسم والموسيقى وفي الشعر . فأجل ما في الرسم ليس مطابقة للواقع . بل هو تلميحة الى أن وراء الواقع المحسوس واقعاً لا يطاله الحس . وأروع ما في الموسيقى ليس ما تثيره في اللحم والدم من اهتزاز ونشوة ، بل في ما تبعثه في النفس من شوق وحنين الى ما هو أبعد بكثير من حاجات اللحم والدم . وأبدع ما في الشعر ليس رنته وجزالته وفخامته ، وضبط أوزانه ، واحكام قوافيه ، والبراعة في نسج استعاراته ، وتنويع رسومه ، واهتزازاتـه وانما هو في مدى ما يحمل النفس على الشعور بغربتها ، وفي مدى ما يكشف لها من مفاتن الوطن الذي تشتاقه وتحن اليـه .

وانه لمن المؤسف حقـاً أن نرى فن النحت والرسم والموسيقى والشعر تنحدر جميعها في الزمان الاخير الى حيث تبدو وكأنها تحاول ان تشوه الاشياء وتمسخ الانسان ، وتجعل من الحياة التي نحياها مهزلة ومسخرة . ولا عجب فالحربان الاخيرتان قد زعزعتا ثقة الانسان بنفسه وبحكمة النظام الذي يهيمن على حياته الى حد انه بات لا يرى في الكون اي نظام غير الذي تعرضه عليه نزعاته الارضية ، وشهواته الجسدية ولا يرى لحياته أي معنى فوق ما يتطلبه ارضاء تلك النزعات والشهوات .

بقي ان اقول كلمة في الدين . وأود قبل أن اقولها ان أميز بين الدين والمذهب . فالدين هو « الحقيقة » التي انكشفت لرسول أو نبي عن طريق العلم والفلسفة والفن . وهو يتناول مصدر الانسان وغربته عنه ، ويعلمه كيف يجمل به أن يسلك ليعود الى مصدره ، ويتخلص من اوجاع غربته . اما المذهب فهو تسليم أقوام بصدق النبي أو المعلم في حديثه عن حقيقته . ولكن دون أن تنكشف لهم تلك الحقيقة مباشرة كما انكشفت له . فـلا هم أحسوا ما أحس ، ولا هم ابصروا أو سمعـوا ما ابصر وسمع . ولا هم يملكون الطاقة التي يملك على السير في الطريق الذي اختطه لهـم للوصول الى حقيقته .

لذلك راحوا يكتفون من دينهم باقاته الشعائر الخارجية التي يفرضها عليهم . فكانوا كمن يكتفي بحسك السنبلة عن حبها ، وبقشرة الجوزة عن لبها .

وكيف يتم الكشف الديني .

انه بالتأكيد لا يتم عن طريق الحواس الخارجيـة وحدها . فهذه تعمل ضمن حدود لا تستطيع أن تتعداها .

وهي ، كما سبق وقلت ، تتغير باستمرار وتعمل في عالم كل مافيه يتغير باستمراره فشهادتها ابداً ناقصة وكاذبة. ولو أن الانسان لم يكن يملك في حياته دليلا سواها لكانت حياته ضباباً في ضباب ، واوهاماً في اوهام. ولما كان له الشعور العنيد بأنه غريب عن وطنه ولا الحنين الدائم الى ذلك الوطن.

لكأنما الانسان عالم تجمعت فيه كل العوالم ، ولا نهاية بما فيه من عجائب واسرار. وأعجب تلك العجائب والاسرار هي البصيرة. والبصيرة هي العين التي قلت فيها من زمان في كتاب لي اسميته « كرم على درب »

« لي بين حاجبي عين ثالثة. ولولاها لكنت أعمى »

هذه العين هي النافذة السحرية التي نطل منها على انفسنا والكون فنبصر الكون فينا وتبصرنا في الكون وحدة متماسكة ، لا تنفصم ولا تتجزأ ، وليس لها بداية او نهاية. اما القوة العجيبة التي بها تتماسك تلك الوحدة فهي المحبة.

وهذه العين التي يملكها كل انسان. الا انها لاتزال مغمضة في معظم الناس ، وقد تنفتح لفترات قصيرة عند بعض الملهمين من المفكرين والفنانين. وهي لا تنفتح انفتاحة كاملة ودائمة الا عند الذين صفت قلوبهم وافكارهم وأجسادهم من ادران الارض - من الفجور والطمع والجشع والكبرياء والتعلق بالاشياء الزائلة والامجاد الباطلة. اولئك هم المختارون والاصفياء.

ولولا أن في استطاعة كل انسان ان يفتح عين بصيرته لما كانت له بصيرته. ولولا ان المختارين والاصفياء يستطيعون أن يعلمونا كيف نفتح بصائرنا لما كان المختارون والاصفياء الا أن المختارين والاصفياء لا يفتحون عين البصيرة بالكلمة وحدها. بل لابد مع الكلمة من تجربة شخصية ، ومن قدوة ومثال. لذلك كان فعل الانبياء قوياً وبعيد اثره في بعض الذين اتصلوا بهم اتصالاً مباشراً. ثم راح اثره يتضاءل في الناس بنسبة بعدهم عن الانبياء في الزمان والمكان. فبقيت المذاهب وتوارت الاديان. وسلمت الكتب وضاع الايمان. وانتهى الامر الى عميان يقودهم عميان.

الا ليت الدين ، كما يمارسه أبناء اليوم ، كان ماينبغي للدين أن يكون. الا ليته كان أداة لجمع الناس بالتعاطف والمحبة لا لتفرقتهم بالتنابذ والكراهية. وكان لتفتيح بصائرهم لا لتغميضها. اذن لأصبحت الأرض سماء من زمان واصبح الانسان غير انسان. فالبصيرة المنفتحة في غنى عن المجهر و المرقب ، وعن كل ما استنبطه العلم من حيل لتقوية بصره وباقي حواسه الخارجية ، ولكن ليطيل في غربته لا ليقصر منها والبصيرة وحدها ، متى انفتحت عينها ، فتحت للانسان كل ما أغلق عليه من اسرار نفسه. ومتى انفتحت للانسان اسرار نفسه انفتحت له جميع اسرار الكون ، فتناثرت عنه اثقال الغربة وآلامها. وبات يحتضن كل مكان ولا يحتضنه أي مكان. ويلف كل الزمان ولا يلفه الزمان.

ميخائيل نعيمة



« رحلة مع الشيطان »

قصة بقلم : جون اوهارا

ترجمة : خليل السواحري

كانت حقيبة المستر وينفلد وقبعته ومعطفه في ردهة الشقة حينما تلفن له الرجل من الطابق السفلي يخبره ان العربه في انتظارة ، وسرعان ما جهز نفسه وهبط الدرج ، وحيا روبرت ، السائق الزنجي الضخم ، وهو يناوله الحقيبة ويتبعه الى العربة . ولأول مره الفى نفسه يخرج مع حفيدته في رحله دون أن يكونا منفردين ، اذ كانت هناك فتاتان مع شيلا قدمتها اليه قائلة : « هذه هيلن ويلز ، وهذه كاي فارنسورث : هذا جدي المستر وينفلد . كانت الاسماء لاتعني شيئاً بالنسبه له ، الشيء الوحيد الذي له معنى هو ان عليه أن يجلس فوق اطواق العربه في (السترابنتون) أو يجلس احدهم في الخارج مع روبرت تلك الجلسة السيئة ، لا لأن روبرت سائق سيء ، ولكن لأنه كان يرتدي مزوده بينما وينفلد لا يرتدي شيئاً ، لهذا كان عليه إما أن يجلس في الخارج ويتجمد من البرد ، أو يحشر نفسه في مقعد السترابنتون الضيق داخل العربه ، وقد بدا له أن هذا لم يكن ذا اهمية عند شيلا اذ انها دخلت العربه وما ان صفقت الباب ورائها حتى قالت : « إنني أتساءل ما الذي يمنع روبرت من المسير ؟؟» فقال وينفلد : « انه يحزم حقيبتي » ورغم أنهم كانوا يأخذون طريقهم بعد حوالي دقيقتين إلا أن الامتعاض كان بادياً على شيلا ، أما مستر وينفلد فقد استاء من الطريقة التي انتهجتها شيلا في حديثها في زميلتيها وفي استحثاثها روبرت على الاسراع ، حتى أنهم كانوا قد جاوزا المدينة في وقت قليل جدا ، وقد وجد المستر وينفلد ، نظرا لأيامه السالفة ، أن مما يبعث على السرور أن تجد من يعرف وجهتك ويسوق لك العربه ، لا لأنه قد استراح من قيادة العربه وحسب ولكن لأنه كان يتحتم عليه في الماضي ، عندما يستأجر عربه ، أن يخبر السائق باستمرار أين ينعطف واين يسير باستقامة إذ أن شيلا تعرف كل ذلك .

كانت الفتيات الثلاث في عمر واحد تقريباً ، وكان يُشار الى الاشخاص الذين يتناولهم الحديث باسمائهم الاولى فقط ، نحو ثد ، بوب ، جوين جين ، ماري ، لويز ، وقد تبين للمستر وينفلد الذي كان يصغي بانتباه أن معارف المدرسة والفتيات ذوي المعرفة الطفيفه كان يُشار اليهم باسمائهم الاخيرة . وبالرغم من جلسته التي لم يستطع معها رؤية وجوه الفتيات بوضوح فقد كون لنفسه فكرة عن الآنستين ويلز وفارنسورث : كانت الآنسة ويلز تزود شيلا بالكلمات اللازمة لها أثناء الحديث ، وكانت اصغر الفتيات سناً ، وحادة الطبع ، أما الانسة فارنسورث فكانت تستغرق معظم الوقت في التطلع خارج النافذة ، ونادراً ما كانت تشارك في الحديث . ولما كان باستطاعة المستر وينفلد أن يتأمل وجهها بين حين وآخر فقد وجد نفسه يتساءل . ترى هل تحب هذه الفتاة أحداً ؟؟ هذا محتمل ، ولكن دع الامور تكشف ذلك ، وفي اعتقادي أنك لو كنت تتمتع بمثل جاذبية الآنسة فارنسورث لكنت شاركتها هذا الانطواء ! ! » .

كانت الاميال تنساب الى الوراء ، والجو يزداد برودة ، وكان المستر وينفلد لا يزال مصغياً حين ايقن أن ليس من المنتظر منه ان يشارك في الحديث . ولما اصبحوا في «دانبري» وفي موقف أمام الفندق القديم قالت شيلا فجأة : سنتوقف هنا . . ألا تنوي التوقف هنا يا جدي ؟؟ » وعندها أدرك وينفلد أن ابنته قد اخبرت شيلا بأن تتوقف هنا ، فانحدر من العربة بامتثال ودونما رزانة ، وحين عاد الى العربه كانت الفتيات الثلاث يفرغن من التدخين ، ولاحظ اثناء تسلقه العربه كيف كانت الآنسة فارنسورث ، ولا زالت ، تتفرس فيه وكأنها تحاول ان تجعل منه موضعاً للامعونتها ، وإن كان في الواقع ليس بحاجة الى معونة فهو في الحقيقة لم يكن عجوزاً ! عجوزاً في الخامسة والستين ؟!!

وامتلأت العربة من الداخل بدخان السجاير فراح المستر وينفلد يفتح احدى النوافذ تلبية لرغبة الانسة فارنسورث التى طلبت اليه ان يتفضل بفتحها ، وما ان فتحها حتى قالت الانسة شيلا ان فتح نافذة واحدة لا يؤدي الى كبير اختلاف « افتح كلتا النافذتين ولو قليلا ليتاح للدخان أن يتسرب الى الخارج . » أما الآنسة ويلز فقد قالت : « إن هذا الهواء لمنعش ، ولكن مـادا بشأنك يامستر وينفلد ؟ إنك تجلس في تيار مخيف ؟؟ » فأجاب وهو يحاول ان يستغل صوته لأول مرة أن ذلك لا يهم .

وصلوا الى شيفلد وكانوا يتجهون صوب ماسوشيتس حين فطنت الآنسة فارنسورث الى أن النوافذ مفتوحة وانها تتسبب في تيار مزعج ، لقد تحققت من ذلك حين انحسر ثوبها عن ركبتيها فراحت تطلب الى المستر وينفلد ان يتفضل باغلاق النوافذ ، إلا أنه لم يتمكن من الوصول الى مقبض الشباك المنفلت الى الخارج اذ كان البرد قد جمّد يديه ، ومع ان شيلا تداركت الامر قائلة : « سنكون هناك تقريبا » الا انها اغلقت النافذة دون أن تلتفت الى اعتذارات المستر وينفلد الخجله .

ولما وصلوا الى المنزل في « لينوكس » كان عليه ان ينزل اولا وعندها فقط ندم لاختياره الجلوس على الستراپنتون إذ انه ما كاد يضع قدميه على الارض حتى هبت زوبعة من الرمل المنبعث من عجلات العربة فلم يتمالك نفسه من السقوط الى الارض حيث بقي هنـالك بضع ثوان محاولا ان يجعل المشهد مضحكا ، وما كان من روبرت المسعف - المسعف في الغالب رغم أن مستر وينفلد لم يكن عجوزا الى هذا الحد - ما كان منه إلا أن قفز ممسكاً بيديـه تحت ابطي المستر وينفلد ، أما الفتيات فقد كن مروعات ، وقد خيل للمستر وينفلد أنهن يحدقن صوب شباك المكتبة خوفاً من تكون أم شيلا هناك تراقبهن وربما تلومهن على سقوطه : « لوانهن عرفن فقط ... »

وقالت شيـلا : « ادخل الى البيت ياجدي اذا كنت تشعر أنـك على مايرام ، أما أنا فعلي أن أتدبر مع روبرت أمر الحقائب » .

« انني على ما يرام » قال هذا ومضى يدخل البيت ، وعلق معطفه وقبعته في المقصوره تحت الدرج ، وهناك كان التلفون وأمامه بطاقة صفراء تضم قائمة بالارقام التي غالباً ما تطلب ، وقد استطاع مستر وينفلد ان يتعرف على بعضها ، وحدس ان هناك جمهوراً غفيراً يتردد على البيت كل يوم ، ان خمسة عشر عامـاً يمكن ان تؤدي الى تغيير حتى في « لينوكس » نعم لقد مضت خمسة عشر عاماً منذ ان مضى آخر صيف قضاه هنا ، ان هذه الرحلات ، الرحلات السنوية لتقديم واجب الندم ، لا يمكن أن تعطيك فكرة عن سلوك

هذا المكان ، فأنت لاترى أحداً ، اللهم الا امرتك ، وبعض الزوار كما يحدث في هذه الايام .

ثم مضى الى الردهة المظلمة حيث قفزت « يولا » الخادمة مذعورة أف . آه ، هذا انت يامستر وينفلد ، انك ترغب في اخافتي » ! .

ـ هالو يولا ، انني مسرور انك مازلت تحتفظين بطيبتك ، اين الليدي داي ؟ »

ـ اعتقد أنها الآن فوق ...

وفي هذه اللحظة كانت ابنته (الليدي داي) تنزل الدرج وقد رآى يدها أولاً على الدربزين وهي تنزل قائلة :

ـ هذا انت ياأبي ! اعتقد أنني سمعت صوت العربة !!

ـ هالو ماري :

وراح الاثنان يتبادلان قبلة مسرحية أجادا تمثيلها وقد مال هو بجسمه حتى كان رأسه يستند الى كتفها ، وقد كان هذا بالنسبة ليولا ، الكاثوليكية المترمية أشبه مايكون بتقبيل قطعة من « أيفونه ثيبا » وقد ادرك المستر وينفلد هذا فقال : « أين ... »

وقاطعته الليدي داي وهي تحاول أن تبعد عن لهجتها كل شعور بالضيق .

ـ « أبي ، انك تكاد تتجمد ! »

ـ لقد كانت ركبة باردة ، ففي مثل هذا الوقت من السنة تحدث عادة هبات ثلجية بين دابنري وشيفيلد ، الا أن الفتيات استمتعن بها .

ـ « اصعد الى الطابق العلوي واستحم وسأرسل اليك ماتطلب ، شاي ، كاكاو ، قهوة » .

ان الخمر هو الشيء الوحيد الذي يفضله ، وقد كان هذا واضحاً لديها بحيث أنها تعمدت الاسراع في الحديث لتتجنب ذلك .

ـ اعتقد أن الكاكاو شيء رائع ، ولكنني ارى ان من الافضل لو تقدمين مشروباً أفضل لشيلا وصديقاتها .

ـ ولكن ، لماذا هذه النغمة في الحديث ياأبي ؟؟ يمكنك أن تحصل على الخمر اذا أردت ذلك ولكنك لازلت في العربة ! اليس كذلك ؟؟

ـ نعم لازلت في العربة ومع السائق هناك !!

ـ هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فإن الخمر لاتدفئك بنفس المقدار الذي يدفئك به شراب ساخن ، سارسل لك شيئاً من الكاكاو ، أما بالنسبه للنوم فستكون في غرفتك القديمة ، وطبعاً عليك أن تشارك في الحمام احدى صديقات شيلا ، ان هذا هو اقصى مااستطعت عمله . فشيلا لم تكن متأكدة من انها ستأتي الا في الدقائق الاخيرة .

ـ سأكون على مايرام وهذا يعني انني لم احضر ملابس السهرة .

ـ وهل ترانا نرتدي شيئاً للسهرة ؟؟

وصعد الى الطابق العلوي ، غرفته ، الغرفة نفسها ، انها كما كانت ، الا ان الاثاث اعيد ترتيبه ، كرسيه المفضل لم يكن في مكانه المفضل ، الا انه بيت جميل ، يمكنك ان تقول انه كان مأهولاً ، هذا العام ، اليوم ، وغدا ، لمسات خفيفة ، منكات سجاير ، ازهار ، انها تبدو صغيرة وجميلة رطبة ، وذات انفاس دافئة مريحة ، ولكنها حتما غريبة عليه و بالاحرى هو غريب عليها ، مهما ، يكن الماضي الذي كأنه هذا البيت فقد مضى ذلك الآن !!

وجلس في كرسيه واشعل سيجارة ، في كل خفقة ، في كل شيء ، في كل هبة من نسيم كانت الافكار القديمه تتداعى الى ذهنه ، انهم يعيشون في لاوعيه طيلة أيام السنة ولكن هنا يتاح للمستر وينفلد أن يعقد نوعاً من المراجعه السنوية لذلك الندم ، الندم البعيد ، الذي لاينسى ابداً

هذا البيت الذي طالما امتلكه حتى اشتراه زوج ماري ، ثمن جيد ، ها ، ولكنه في عام ١٩٢١ كان بحاجة الى نقود ، وقد احتاج كل شيء ، واليوم يقارب ذلك الدخل الذي يأتيه من عائدات مبيع البيت ، يقارب على الانتهاء ، انه يتذكر ذلك اليوم الذي جاءه فيه زوج ماري قائلاً : انني اكره ان اكون ذلك الشخص الذي يفعل هذا ، لكن ماري لم تحسن صنعاً ، انها تعتقد انك لم تكن لطيفاً مع امها انا نفسي لا اعلم شيئاً عن ذلك ، طبعاً ، ولكن هذا ما تعتقده ماري ، انني اعتقد ان عليك ان تأتي لتعيش معنا الآن لأن الليدي وينفلد قد توفيت ، ولكن حسناً ، ان بيت القصيد هو انني اعلم انك فقدت مقداراً كبيراً من النقود وقد حدث انني عرفت رغبة الليدي وينفلد ، لهذا فقد اعددت لك عرضاً رائعاً بشان البيت في لينوكس ، عرضاً قانونياً وحسب السعر الدارج ، وسأقوم بتسديد الضرائب المستحقة ، وسأقوم بتسليمك مائة وخمسين الف دولار ثمناً للبيت والارض وهذا قمين بأن يسدد ديونك وان يوفر لك دخلاً محترماً ، و... ان لي صديقاً يعرف المستر هارونج معرفة طيبة ، وهو في الحقيقة يقابل الرئيس مرة في الاسبوع مقابلة غير رسمية ، وسيكون مسروراً جداً اذا كنت مهتماً ... »

انه يتذكر كيف اغراه ذلك ، ربما كان المستر هارونج قد نظم كل ذلك ليتمكن من الذهاب الى لندن حيث كان يقيم « اندد ولتر » ولكن حتى في ذلك الحين فقد جاء متأخراً ، لقد عاد اندر الى لندن لأنه لم يتمكن من تطليق زوجته والسبب في ذلك هو انه كان يريد ان يحمي ماري ومن يقف معها ، ومن يقف مع زوج ماري ، ومن يقف الى جانب بنات ماري ، وها هو الان يحميهم جميعاً ببيعه البيت ، لم يكن يرغب في ان يكون رب اسرة يحمي افرادها من ضائقة مالية تتسبب عن قرابة فقيرة ، « يمكنك أخذ البيت . » هكذا قال « لداي » ، « انه يستحق هذا الثمن ، ولكن ليس اكثر منه ، انني متشكر على كل حال أما بخصوص العمل السياسي ، فالذي اعتقده أن علي أن أسافر الى كاليفورنيا هذا الشتاء » لقد تحقق أن ذلك هو بالضبط ما كانت تريده ماري وزوجها ، ولهذا فقد سافر .

قرعت بولا الباب وهي تحمل طبقاً عليه فنجانين ، فلما رآها قال : « لماذا احضرت فنجانين يابولا ؟؟ »

— آه ! فنجانين ! هكذا ! لقد اعتدت أن أضع فنجانين !!

وكانت قد تركت الباب خلفها مفتوحاً وبينما كانت ترتب أشياء فوق الطاولة ذات السطح المرمري — رأى شيلا تتحدث الى صديقتها — بينما كن يغرن في الزدهة — قائلة: « هذه غرفتك يا فارني ، أما أنت ياهيلين ففي الطابق السفلي تذكري ما قلته لك يا فارني ، هيا بنا يا هيلين . »

— اشكرك يابولا

ثم خرجت بولا واغلقت الباب فتوقف دقيقة وهو يتأمل الكاكاو ثم صب قدحاً واحتساه ، ورغم انه قد شعر بشيء من العطش الا انها كانت جيدة ومدفئة ، لقد كانت ماري محقة فالكاكاو أفضل من الخمر ، ثم صب قدحاً آخر وتناول معه شيئاً من الكعك . وفجأة خطرت له فكرة ، ربما كانت الانسة فارنسورث ترغب في شيء من هذا ، لقد اعجب بهذه الفتاة لما تتمتع به من جرأة ، انه يراهن على انها تعرف ما تريد ، او هكذا تبدو ، انها لاتبالي أن يكون ماتريده سخيفاً ، انه ما تريده وحسب ، انها تستطيع ان تتضرع الى الله خفية فهي صغيرة الى درجة تجعلها معرضة لصفعة شديدة إزاء كل شيء تريده ، لابد لهذه الفتاة من أن تضع نصب

عينيها رجلا أو حظاً أو هدفاً تحاول ان تصل اليـه مستعينة بالله . واذا وجدت ، وستجد بالتأكيد أن ما كانت تظلبـه شيء تافه فانها ستجد ذلك في الوقت المناسب على الأقل ، وزوال الامل الكاذب في وقت مبكر يحمل بذوره موقفاً تعويضياً فلسفياً ، ومثل هذا الموقف لا يستطيع أن يفقـد فتاة صلبة كهذه شيء من جاذبيتها ، لقد أحس المستر وينفلد بهذه الجاذبية ، وابتدأ يعتبر هذه الفتاة وكأنهـا اهم شخص قابله منذ سنين طويلة كئيبة . سيكون شيئاً مضحكاً أن يتحدث اليها ، ان يناديهـا ليرى في أي اتجاه تسير ، ولنقل الطموح أو زوال الامل الكاذب ، سيكون مضحكا أن يفعل ذلك ، او بالاحرى سيكون مجرد لطف ساذج ، منه باعتباره السيد السابق لهذا البيت أن يدعوها اليه لتتناول قدحاً من الكاكاو الطازجة . واجرى القرعة بين أن يذهب من خلال الردهة ويقرع الباب أو أن يقرع باب الحمـام الذي يفضي الى غرفتها ، وسرعان ما اختار الاجراء الاخير لأنه لم يشأ أن يره احد وهو يقرع بابها ، لهذا فقد دخل الحمـام ونقر على الباب المؤدي الى غرفتها بخفة وانتظر ، خيل اليه انه سمعها تقول: « دقيقة » الا أنه ايقن بعد حين انه مخطىء فقد قالت : « ادخل » ، انه يكره اولئك النـاس الذين يقرعون الابواب ويقفون منتظرين ان تناديهم مرتين أو ثلاثاً ليدخلون ، واذا ما أبتدأ بالصداقة على هذا النحو فان هذا سيؤدي حتما الى انطباع سيء ، فما كان منه الا أن فتح الباب، وفي الحال أيقن بصدق حدسه من انها قالت «دقيقة» إذ أن الانسة فارنسورث كانت تقف في منتصف الغرفة ، تقف عارية مجردة ، ان هذه اللحظة هي آخر لحظة تستحق الاهتمام من حياته ، فقد كانت تحوم على عيني الفتـاة جريمة باردة مشحونة بنظرات الاشمئزاز والازدراء ، ووعيد ينذر بأن اسمه سيبقى ملطخاً الى الأبد ، وما لبثت ان صرخت به : « اخرج ايها العجوز القذر ! » وانسل الى غرفته واقتعد كرسيه وتناول ببطء سيجارة دون أن يشعلها ، كان بطيئاً للغاية ، ان لديه الكثير من الوقت ولكنها لحظات قليلة ويبدأ بعدها في احتقار نفسه . ثم جلس برهة أخذ يتدبر فيها مخاوفه .

تحية الهند

عبد المعين الملوحي

معاذ الهوى يا هند ماحدت عن عهدي ... فما زال بي حبي ، ومازال بي حقدي
ومازلت اهدى الثائرين طريقهم ... اذا قيل ، ضيعنا الطريق ، فمن يهدي ؟
وما زال حبي الناس كالبحر واسعا ... وان سامني حبي لهم كل ما يردي
غرامي بارضي ، بالشعوب ، بامتي ... بداري ، بأهلي شد اذيالها ولدي
بكل فتى حر يحطم قيده ... ويمضي لتحرير الشعوب من القيد
وما زال كرهي كل ظلم وخسة ... على الارض مثل النار تأكل من كبدي
وحقدي على مستعمر ومسيطر ... على ظالم وغد ، على حاكم فرد
على كل دجال ترهل مترفاً ... ويدعو الجماهير العجاف الى الزهد
على كل وارد على ماء غيره ... ويحبسهم في الحابسين عن الورد
ربطت مصيرى بالحياة كريمة ... هي الخلد ، أو احلى مقاما من الخلد
وبالناس اخوانا ، وبالعدل مذهبا ... وبالثورة الكبرى تجلجل كالرعد
« لقد جل شأن الشيب ان كنت كاتما ... بدت شيبة انكرت خوف الردى عهدي
كتمت جراحاتي فلما تفجرت ... دهاً لم يعد من كشف جرحي من بد »
ولو انني القيت في اللحد جثة ... تأجج كالبركان من جثتي لحدي

* * *

معاذ عراة بالرقاع تسربلوا ... يسدون منها ما تناثر بالايدي
معاذ حفاة بالمجارير عششوا ... يرون بها سعدا ابر على السعد
معاذ الذي ابصرت يكشف بطنه ... وبالفتق يبدو اصفر اللون ، يستجدي
معاذ التي شدت الى النهد طفلها ... فما عثرت كف الرضيع على نهد
لها شقة شوهاء تشبه قربة ... مصبغة بالالوان ، موارة الجلد
معاذ صغار ، كالذباب تحلقوا ... على ازرق العينين ليس بذى رفد
اذا برزت سيقانهم خلت انها ... عصي عجاف في كساء من الجلد
معاذ شباب يعرضون سواعداً ... مقطعة الايدي ، اضعت لها رشدي
حراب الى صدري تمد فلا ارى ... سوى هربي يجدي ، وهيهات لايجدي

معاذ عجوز راح يطعم قرده … وجاع ، يرى عيدا له شبع القرد
مناظر في عيني وقلبي حفظتها … مضرجة بالدمع يجري على خدي
بذلت لها دمعي ، فلما نزفته … واقصر عن عجز بذلت لها سهدي
تذيب القلوب القاسيات حجارة … وتفعل فعل الشوك في الاعين الرمد
اذا ما رآها ثائر طاش لبه … وأعرض مرتدا ، وليس بمرتد
اذا انا انسانيتي لم تهزني … فليس ابي من عبد شمس ولاجدي
تفرد غيري ، كل حي بهمه … واحمل اعباء الوجود انا وحدي
أأنكر اخوان الشقاء وانهم … هم عدتي في النائبات وهم عضدي
اولئك اهلي ، ماجحدت اخاءهم … فمن فقرهم فقري ، ومن وجدهم وجدي
مشينا دروب الجوع امس احبة … ونمشي نشق اليوم درب غد رغد

★ ★ ★

أحب امرؤ القيس الحرائر نعمّاً .. … فلم يراحلى فى الحرائر من هند
وعنترة العبسي لم يمض للوغى … وفي يده امضى من الصارم الهندي
صلات من القربى اتينا نشدها … اذا احتاج اسباب الاخاء الى الشد
صلات من القربى العريقة رامها … ليقطعها وغد له الويل من وغد
اراد فلسطين العروبة موطنا … وتأبى سيوف العرب والهند والسند

★ ★ ★

حفظنا فلا تنسوا مواثيق يعرب … وكان الكريم الحر احفظ للوعد
لنا ولكم ماض من الود حافل … ومستقبل احلى واحفل بالود
ونحن الاولى كانت شفاء رماحهم … من الذل ، ان الذل مثل الضنى يعدي
هم قوموا بالسيف راس متوج … فتاب الى رشد واعرض عن كيد
بنى مجدهم مجدى فلما ورثته … واورق فى كفي بنى مجدهم مجدى
وهم كتبوا في الهند سفر حضارة … مخلدة تزهو بها سورة الحمد
لها في ربى اكرا قلاع تمردت … و «تاج» زها في باقة الزهر كالورد
اساطير من مجد وحب رايتها … تنام على خد ، وتصحو على خد
اطافت «بممتاز» الملائك كالدمى … وحفت «بجيهان» الملائك كالجند

★ ★ ★

تحرر شعب الهند من حكم دولة ...
معودة شرب الدماء بـــلا كـد

بنى سد «بكرا» اليوم نشوان ظافرا
ويوم غد يبني السدود بـــلاعـد

ولا عاش فرد كان يأكل امــة
ويتركها للجوع والسقم والجهــد

وعاشت شعوب الارض تبني مصيرها
سواعد كالفولاذ وارية الزنـــد

★ ★ ★

رسالة حب من دمشق حملتهـــا
مضمخة بالورد تهـدى الى الهند

الى بنهرو ساعـــة ثم رفرفت
لتنثر ازهار السلام على غنـــدي

اذا ذكرت عهـدي بدلهي تمزقت
على اعين سود يذبن من الوجـــد

«اهيم بهنـد» ماحييت فان أمت
فوا حسرتا من ذا يهيم بها بعدي ؟ »

١٤ / شباط / ١٩٦٥
— عبد المعين الملوحي —

اعلان

تعلن المديرية العامة لهيئة الاذاعة والتلفزيون عن اجراء مسابقة عامـة لانتقاء عدد من حملة الشهادة الثانوية الصناعية (فرع كهرباء — مرآب — لاسلكي) لتعيينهم في اداراتها ومحطاتها كمساعدين ومراقبـين فنيين براتب شهري قدره /٢١٠/ مائتان وعشر ليرات سورية مضافاً اليـه تعويض الاختصاص المنصوص عنه في المادة الخامسة من المرسوم التشريعي رقم ١٦٧ تاريخ ٢١ / ٩ / ١٩٦٣ وتعديلاته بعد حيازته على شهادة التدريب المنصوص عنهـا في القانون الاساسي للاذاعة .

فعلى من يرغب بالاشتراك بهـذه المسابقة التقدم بطلب خطي ملصق عليه الطابع القانوني ومرفق بالأوراق الثبوتية المبينة باللائحة المرفقة وارساله بالبريد المضمون الى العنوان التالي :

المديرية العامة لهيئـــة الاذاعة والتلفزيون — ديوان المديرية العامة

دمشق — ساحة الأمويين

— تقبل الطلبات لنهـاية الدوام الرسمي ليوم السبت الواقع في ١٨ / ٩ / ١٩٦٥

— تعلن أسماء المقبولين وموعد ومكان الفحص ومواده باعلان لاحق .

المدير العام
لهيئة الاذاعة والتلفزيون

بيان بالاوراق الثبوتية

١ — اخراج قيد نفوس يشعر بأن صاحب العلاقـة عربي سوري منذ أكثر من خمس سنوات .

٢ — سجل عدلي (لاحكم عليه) .

٣ — رخصة توظيف من شعبة التجنيد المختصة .

٤ — شهادة حسن سلوك مصدقة من الجهة الادارية المختصة .

٥ — شهادة صحية من أحد الأطباء مصدقة من دوائر الصحة المختصة على ان يتقدم المتسابق بشهادة صحية من لجنة فحص الموظفين بعد نجاحه .

٦ — صورة عن السجل العام للموظفين (تؤجل الى مابعد النجاح)

٧ — صورة مصدقة عن الشهادة الدراسية

٨ — تصريـح خطي يشعر بقبول المتسابق العمل في جميـع أراضي الجمهورية العربية السورية

١٠ — موافقة ادارية على اشتراكه في المسابقة ان كان موظفاً أو مستخدما أو عاملا في ادارات الدولة أو مؤسساتها العامة .

دمشق في ٣٠ / ٨ / ٩٦٥
المدير العام
لهيئة الاذاعة والتلفزيون

دمعتي في يوم ذكراك

بمناسبة وفاة المرحوم

الدكتور انور العثمان

وجمت ونفسي في تساؤل عجيب . ووقفت في زحمة الركب أناجي الغريب .

ما أبعد الزمن في صراع مع المستقبل والغيب ! وما أدناه للذكرى والحنين !!

معلمي ! بالامس كنت على يديك ، أرشق رحيق المحبة والصفاء ، واتلقى من فيك حب الدار وطيب المقام ، فأعتز بارضي ، وأبسم لمن حولي ، وأغني للحياة .

واليوم أجول مع الخيال ، فاذا البسمة عبرة ، واذا الارض نزول وارتحال ، واذا الحياة بأسرها ذكرى محبة وصفاء !

لقد توليت ، فانطوت بأقوالك سنون طوال ، ياحبيب تمر - كما مررت - كحلم ، وهي في ركاب الزمن تستطلع الحياة على قبس من نورك ، وتتلمس الطريق الى المجهول على روي هديك .

لقد جف زيت المصباح ، وخبا نور وجهك ليطفح في من وجوه الاجيال شعاعات من أمل .

سنين طوالا من الحياة قضيت ، وصفحات مليئة من الجهاد طويت ؛ وشباب الحياة - يالعمر الشباب - أفنيت .

لقد ملأت المقام في دنياك ، بعد أن ما خلقت من آثار ثم أغمضت جفنك باسماً ، كأنما تشرئب الى آفاق عالم جديد ، صدره أرحب ، وعيشه اشهى وأهنأ !

لقد أنرت حتى شح نورك ، وبذلت حتى نفذت ذخيرتك ، وأعطيت من روحك وشبابك حتى قعد بك العطاء .

فهاهي ذي قوافل أجيالك على الدرب تسير ، وقعدت أنت عن المسير ، ترنو الى ركبهم في صمت ، وما لديك إلا ذكرى ، ذكرى ماض طويل .

وتمر الايام ، وستبقى بريق أمل في كل عين ، وخلجة قلب في كل صدر ، وعاطفة حب في كل نفس . ومسرعان ماتقف قوافل الاجيال ، كما وقفت . وتتعثر في الطريق كما تعثرت . وعندئذ فقط يذكر الابناء في حزن من تركوا خلفهم ، فيغمضون - كما أغمضت - على ذكرى ماض بعيد .

لقد طويت صفحات سفرك ، ياحبيب الأجيال ، في صمت ، والقيت حمل جهادك في أناة ، وغادرت مسرحك الى حيث لا عودة ولا رجوع ، وخلدت الى راحتك ، لاتعبأ بعالم الاحياء .

ليتني لسان أمة فأعطيك ماتستحق من حب وتقدير واعجاب .

ليت عالمي يعرف معنى الجهاد ويقدر بطولة الابطال فيعترف بفضلك ويكرم مثواك ؟

وحسبي منك حرقة تتأجج في نفسي . ودمعة تترقرق في عيني . هما كل ما أستطيع أن أجود به .

ألا فاهنأ براحتك ، واسعد بقعودك . فآثارك في نفوس الاجيال قائمة من مسعاك . تهتدي بهداك ، وتحن لذكراك ! !

عبد الجبار الكيالي

ست قصائد

شعر – عذراء السلمان –

(١) الخيط

– ١ –

سهرنا الليلة العشرين يرقبُ وجهنا الموتُ
يدوس الاغنيات البيض ، يطفيء دوننا رحمةْ
سجائره بأحداق الاحبّة ، أطبق الصمتُ
على قبرٍ عرفنا فيه كيف تُمزّق الاكباد
بأحداق الغزاة العائدين اليك يا نجمةْ
وكيف نظلّ رغم الليل .
كيف يقهقه الجلاّد
ومن فيض الدم القاني ،
يبلّ شفاهه النهمهْ

– ٢ –

سهرنا الليلة العشرين لم نَنمِ
وبعضُ نجومنا يقظانةُ الألمِ
وبعضٌ ملأ الاوراق
وبعضٌ كاد ان يذوي من الارهاق ،
لولا حلم مازال في الاحداق ؛
أو خيط من الحلمِ .

– ٣ –

سهرنا الليلة العشرين لم نذبح أمانينا
ولم نوصد بوجه الصوت والنسمةْ
قلوباً ازهرت في دمها الاشواق
وظلتْ ترقبُ الاشراق
رغم الموت والعتمةْ
سهرنا الليلة العشرين لم نخفت أغانينا

* * *

(٢) الأشرعة

سفينةً كنّا بلا أشرعة هائمه
جراحُنا للملحِ مفتوحه
كنّا بأيدي الصبية الأوغاد أرجوحه
عشنا ليالي موتنا الرهيبة القاتمه
نعرف أن الصمتَ لايجدي، ولاأدمعنا الساجمه
فعانقي يانارنا المشبوبة الساغبه
يبادر البارود وأمضي حمماً لاهبه
تحرقُ كل الصبية اللاهين والبنادق الحالمه
بموتنا في غرفٍ عارية
غارقةٍ بالدماء
بموتنا تحت سياط المغول
بموتنا في عُرينا دون ماء
يانارنا هبّي فرغم العناء .
عزمتُنا باقية

* * *

(٣) الليل

ومهما شالت الاعواد من أحبابنا الاحباب ؛
مهما أزرقّت الجمة .
ومهما الرملُ في حاراتنا المذبوحة الافراح يلتم
ومهما هتك الاغرابْ
عفاف الاخت والامْ

يظلّ الليلُ مهما اسودّ تحفرُ قلبَه اللوعةْ
فها هي في الجبال الشمّ
هاهي في الجبال الشمْ
عيونُ الريح يقظى شاربات دمِ

★ ★ ★

(٤) تطلّع

- ١ -

أحسُّ النارَ تشربُ من دمي ماتوتوي أبدا
تضيء وجه أشواقي
فتمطر أغنياتُ الثأر ، تمطر ملء أعماقي
أحسُّ بيادر البارود تنبؤني بأن غدا
تلملمُ صوتها الغيماتُ . تذبحُ صمت صحرائي
فيمشي الخصبُ أنّى عربدتْ ، وتمزّق القمة
وتغرقُ في سمائي كاللظى نجمه
فيفرحُ بيتنا المتلهّفُ النائي
يهلل بعد طول النأي والاحزان والغربة
بعودتنا التي ظلّلتْ على أهدابه حلما
وحتى دربنا الباكي دماً كالبحر يفتح ضاحكا قلبَه
أينسى عاشقٌ متولهٌ حبَّه ؟
أينسى عاشقٌ حبَّه ؟
ولو باتتْ تسامرُ قلبَه الحربه .

- ٢ -

أحسُّ النار تشربُ من دمي ماتوتوي أبدا
احسُّ النار تأكل كلّ أعراقي
وتصرخُ . . ما يزال النبع يرعبهم . . تصبح غدا
تلملم صوتها الغيماتُ ، تذبحُ صمت صحرائي
فتنطفىء الرؤى الشوهاء ، تهجرُ نهر أحداقي
ويفرحُ بيتنا المتلهّف النائي .

(٥) معا

معاً سنكونُ في الشارعْ
يلعلعُ من بنادقنا الرصاصُ وتهتف الدنيا
وتخضرُّ الصحاري الملحُ والرويا
بأعيننا التي ظلت ترّقبُ حبها الضائع
بلهفة نسمة تنسلُّ من كوّه
معاً سنكونُ ،
والقسمات أطفأت اللظى المشبوب في الاعراقْ
معاً سنكونُ
مازال الدم الانهارُ تشربُ صوته الآفاقْ
معاً سنكونُ ؛
ما ذبحت هوانا الريحُ والقسوة
معا سنكون في الشارعْ
يلعلعُ من بنادقنا الرصاصُ وتهتف الدنيا

★ ★ ★

(٦) العائد من المنفى

- ١ -

مترعة بالاسفار وبالاهوال حكاياتي الأحلى
مترعة بالأحزان وبالغربة
أروي لكمو فيها عن أيامٍ صعبه :
هبّت ريحٌ سوداء
عاتية فانتشرت أشلاء .
بعضٌ ماتوا قبل الظهر
صاحوا : ماء
بعض ماتوا عند النهر
صاحوا : ماء
بعض ماتوا في الصحراء
صاحوا : ماء

الخمر !..

محمود نعره ـ

ساشربها .. حـتى ترى النفس ذاتها ‏‏ شعاعاً .. وحتى يعثر السكر في الظلّ !

وحتى أراني لعبة الريح في المدى ‏‏ والا .. هنيهات الفراشة في الحقل

معتقة في خاطر الله .. صاغها ‏‏ شفاء .. من الحرمان ، والبؤس ، والجهل

تهدم احساسي ، وتنعم خاطري ‏‏ وتسكب انوار الضلالة .. من حولي !

وياطيب مسراها .. على النار في دمي ‏‏ الى ان ترى عقلي .. فتأتي على عقلي

فتأخذني منّي ... الى الميعة التي ‏‏ أرى في حواشيها الهموم التي تسلي

.. أنسرٌ بنى في مفرق النجم عشه ‏‏ يفكر في الجوع . البعيد . عن النمل ؟

★ ★ ★

سأشربها .. ستر الظلام على الخنى ‏‏ ولمعة سيف اليتم .. يهوي على طفل !!

وأمزجها بالحب ، والزهد ، والعلى ‏‏ وبالكفر ، والايمان ، والجد ، والهزل

هي المتع الحمقاء .. لم يبق غيرها ‏‏ ..فيازارع ازرع لي. وياساقي اسكب لي..

ياليت رصاص الاعداء

مزّق صدري

ـ ٢ ـ

ُجبت الصحراء الملحا

لم أخفض للموت الجنحا

ما كنتُ بوجه الريح الهوجاء الرملا

بل ْ ظلت ـ في الليل المأفون ـ حناياي الاغلى

أغماد خناجرهم . كنتُ الجرحا

لكني أحيتُ الصبحا

من نهر دمائي رويت الصبحا

روّيت الشمس وعمدت الصبحا

ـ ٣ ـ

ها عدتُ اليكم يا أحبابي يا أغلى

شىء في الدنيا عندي

أروي لكمو عن أيام صعبة .

مترعة بالاحزان وبالغربة

مترعة بالوجد

لن ينسى العاشق مهما طالت غربته حبّه

بعقوبة ـ العراق

« عذراء السلمان »

بين ابن خالويه والمتنبي

الدكتور : مهدي المخزومي

انفصل الركب عن همدان متثاقلاً ، وظلت العيون ترقبه والايدي تلوح له ، وكان في الركب فتى ظل بعد انفصال الركب يرنو بعينين دامعتين الى مودعيه ، والى شرفات البيوت التي مازالت تلوح لعينيه ، ثم طفق الركب يسرع حتى غاب عن عينيه معالم مدينته ومسقط رأسه ، فقد لفتها الجبال ، وابتلعها الافق واحتضن الركب طريق طويلة متعرجة ، صاعدة حينا ، وهابطة حيناً آخر . وظل الفتى رانياً الى الافق والى مالفه من مربع واهل وأتراب ، ساكتاً لاريم ، واشواقه في حناياه تضطرب في لهفة وفي التياع .

كان الفتى ـ وهو يستمع الى هـذا وذاك ممن ضمه لركب في هذه الرحلة الطويلة الشاقة يفكر كثيراً في مستقل ايامـه التي كانت صـورها الجميلة تداعب ذهنه ، ويفكر كثيراً في مجالس الدرس في بغداد . وكانت بغداد حتى ذلك العهد حاضرة الدنيا ومقصد طلاب الأدب واللغة والفلسفة وملتقى الوافدين من شرق البلاد الاسلامية وغربها ، وموئل المحتاجين والمعوزين الذين يجـدون في التقرب من الخلفاء والأمراء وذوي النفوذ والجاه مايحقق مطالبهم ، ويفي بحاجاتهم .

وكان لاسمها في نفوس اهل الأمصار البعيدة تأثير السحر والشعر والموسيقى ، كما كان لشهرتها وصيت ادبها وعلمائها صدى عميق في تلك الامصار وفيما ورائها ، فيه كثير من التقدير ، وغير قليل من الاعجاب ، وكانت من اجل هذا وذاك أمنية الأديب والشاعر وطالب العلم .

واذا وضع الفتى نفسه ومصيره في يد المستقبل المبهم الجميل ترك لذهنه يصور مستقبلاً كما كان يشتهي وكما كان يريد أن يكون . وكان يمني نفسه بسعة في العيش ، وبسطة في العلم والتماع في الصيت . وكيف لايمني نفسه في مثل هذا كله وهو يقبل على الخوض في حياة بغداد ، وعلى الاختلاف الى مجالـس الدروس وحلقات الشعر والأدب ، وعلى انتهاز مايمكن انتهازه من فرص يصل بها الى مايمني نفسه به .

وله ممن سلك الطريق قبله عبرة ، وله ممن سبقه الى الهجرة اليها قدوة . ولا شك أنه كان قد سمع بالكسائي والأخفش والأصمعي واليزيدى والمبرد وأبي علي الفارسي وغيرهم من الأعلام الذين وفدوا على بغداد ، ولمعت نجومهم فيها ، ووجدوا من مصاحبة ذوي الجاه والسلطان من امراء ووزراء وخلفاء ماأبعد عنهم شبح العوز ، وضمن لهم العيشة الراضية .

كانت هـذه الافكار تداعبه ، وهذه الآمال الحسان تتراقص في خياله الذي اطلق له العنان ، وانتهى أخيراً الى العزم أن يسلك سـلوك من قبله ، فلم ينشئه أبواه تنشئة يقوى بها على مواجهة الحياة مواجهة العامل الكاسب ، فقد دفع به أبواه الى كتاب قرأ عليه القرآن ، ودرس عليه مبادىء اللغة والأدب ، وقرأ بعضهـا ، واستظهر بعضها الآخر كما يفعل تلاميذ الكتاتيب .

وصل ابن خالويه الى بغداد بعد ان قضى في سفره أياماً حفلت بضروب من التعب ولكنه تعب يشعر به الامل الحلو

وكان همه أن يرتاد المجالس ويختلف الى حلقات الدرس فيها .
وكانت بغداد أو مجالس الدرس فيها إذ ذاك يتنازعها منهجان
هما منهج أهل البصرة الذي بسط نفوذه في بغداد
أبو العباس المبرد ، ومنهج أهل الكوفة الذي كان عليه
الدارسون منذ ان اسست بغداد .

وانتهى المطاف بابن خالويه الى حلقة ابي بكر بن دريد
فقرأ اللغة والأدب وحلقة أبي سعيد السيرافي فقرأ عليه
النحو على المنهج البصري ، وحلقة ابى عمر الزاهد وابى
بكر الأنباري فقرأ عليهما النحو على المنهج الكوفي ، ولهذا
عده ابن النديم وغيره ، من النحاة الذين خلطوا المنهجين ،
وكتابه « اعراب ثلاثين سورة » وهو اهم اثاره في النحو
ينطوي على مصطلحات كوفية ومصطلحات بصرية مخلوطة
خلطاً عجيباً ، وليس في هذا الكتاب ماينم على براعته في
النحو ، او على ان له رأياً خاصاً به ، وقد عرض أبو البركات
بن الانباري لكتابه هذا فقال : « وله كتاب في اعراب
سور من القرآن ، ولم يكن في النحو بذاك » .

ولعل أبا علي الفارسي أستاذ أبي الفتح بن جني كان
يفطن لضعفه في النحو ، فاذا لقيه ابن خالويه ، وجرى بينهما
كلام تجنب الفارسي ان يخوض معه في النحو ، وطلب
ان يخوضا في الفصيح ، ويحكى انه قال ابن خاويه لأبى علي
كم للسيف اسماً ؟ قال : اسم واحد ، فقال له ابن خاويه :
بل له اسماء كثيرة ، واخذ يعدها نحو الحسام والمخذم
والقضيب والمقضب . فقال له أبو علي هذه كلها صفات » .
وعبر ابن خاويه يتنقل بين حلقات الدرس حتى نبه
اسمه ، وعرف في بيئة بغداد دارساً على جانب من
الاطلاع ، وعلى حظ مزاولة العمل الادبي ، وحظي أخيرا
بما كان يرجوه ، فقد ضمته القصور نديماً لأعيان البلد
ومعلماً لأولادهم .

ويبدو ان الحال لم تعجبه اولم تشبع رغباته فشد الرحيل
الى حلب حيث سيف الدولة الحمداني ، وما يتمتع به من
شهرة تتعلق ومن باهداب الأدب ، وتقريب الادباء والشعراء
والعلماء ، واتصل به وقربه اليه بعد ان ندبه لتعليم اولاده
صاحب سيف الدولة موطناً نفسه على احتمال كل .
ما كان يدل به مثله من الامراء ، وجالسه محتملا كل
ماتقتضيه مجالسة من اذلال وامتهان ، ولم يكتف بهذا ،
فقد كان يذل نفسه حيث لم يطلب اليه ذلك ، ويمتهنها
حيث لم يرد منه ، وهذا - فيما أرى - هو الذي يفسر
موقفه من ابي الطيب ، وتحديد إياه بحضرة سيف الدولة
وقد استطاع الحساد أن يوغروا عليه صدره - هو الذي
كان يغري ابن خالويه وامثاله من الحقدة والمرتزقة على
أبى الطيب رغبة في اذلاله ، ودفعاً له ان يشرى كرامته
وإباءه بما يغدق عليه من مال .

لقد كان سيف الدولة معجباً بالمتنبي ، مشجعا إياه ،
مقربا منزلته مغرقاً عليه المال لأنه كان يرامن شاعرية
الفذه الي شهرة والى تثبيت ملك ، وكان قد رضى من أبى الطيب
وهو يضع الخطة لجره اليه كل ماطبع عليه من خلق صعب
وأنفة بدوية وكبرياء تتجاوز في كثير من الأحيان
الحد المستساغ ، ولم يغير الاتصال بسيف الدولة ماجبل
عليه أبو الطيب ، ولم تستطع هبات سيف الدولة الجزيلة
ان تسلبه كرامته وانفته وكبرياءه واعجابه
بنفسه في كثير من الزهو والخيلاء وزهده بشعر غيره وان
يكن ابن عم سيف الدولة وقائد جيشه أبا فراس ، وكان
هذا بما ملأ أبا فراس حقداً وكراهية وزاد خصوم
أبي الطيب واعداءه .

وابن خالويه ! ! انما اتصل بسيف الدولة ليعرض عليه بضاعته من نحو وشعر فصيح ، ولكن شعره لم ينفق والمتنبي ينشد الروائع الخالدات من قصائده فيتغنى بها الركبان ، ويتدارسها الأدباء والعلماء . ونحوه لن ينفق أيضاً وأبو الطيب كان قد درس على شيوخ ابن خالويه وتخرج بهم ، فبرع في صناعة النحو ، ولم يكن في شعره إلا كل مايؤيد براعته وحذقه وسعة اطلاعه وتفوقه على مثل ابن خالويه .

لقد اذل الطمع ابن خالويه فوسم سلوكه بمثل هذا الميسم ، ودفع به الى ركوب الفيافي للحظوة بقرب الأمير وبيع ماء وجهه بيع السلعة لقاء منحة من المال تمتهن كرامته وعلمه ، ولكن علمه قد امتهن حقاً ، لقد كان يعرض على سيف الدولة كما تعرض البضاعة على المشترين في الأسواق ولست متجنيا عليه ولا مفترضا ذلك افتراضا ، ولكنه كان يقصه ثم يكتبه في اماليه ، فقد حكى هو أن سيف الدولة كان قد سأل « جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدوداً وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا ، فقال لابن خالويه : ماتقول انت ؟ قلت : أنا أعرف اسمين . قال : ماهما ؟ قلت لا أقول لك الا بالف درهم لئلا تؤخذ بلا شكر ، وهما صحراء وصحارى وعذراء وعذارى » .

إن تكسب ابن خالويه بالعلم على هذا النحو المهين لما يغض من شأنه ويزهد الدراس بعلمه « ولو كان العلم يباع ويشترى لما وصل الينا ماوصل من تراث ضخم نافع . لقد حفل تاريخنا بأعلام كانوا نماذج رائعة للعلماء الصالحين المؤمنين برسالة ، وفي مقدمة هؤلاء الخليل بن أحمد الفراهدي ويحيى بن زياد الفراء وأمثالهما من العلماء الذين افنوا العمر بحثاً ورواية واملاءاً ، لقدمثلوا الأسماع فوائد ، واتعبوا وأتعبوا الكاتبين املاء ورواية ، وعاشو زهاداً يكتفون بكسر الخبز وبالرزق الذي يصل إليهم »بل مرىء النعامة

كان ابن حالويه سىء الحظ حقا ، فقد وضعه في مكان لانحسد عليه مثله ، وضعه في مواجهة أبو الطيب وليس له من مـــزاياه مايجعله واياه ندّين تقديرا واحتراما علما وادبـا .

كان أبو الطيب يوماً ينشد قصيدته .

وفاؤ كما كالربيع أشجاه طاسمه

بان تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

« وكان ابن خالويه حاضرا ـ كما يروي شارح ديوانه فقال لأبي الطيب : تقول أشجا وهو شجاه ؟ ! فقال له اسكت ، ليس هذا من علمك إنما هو اسم لافعل » ، يعني (فعل) في التفضيل .

فلم يكن سهلا ان يواجه ابا الطيب إذا جمعت بينهما المناظره او ضمها مجلس سيف الدولة ، فلا بد من سلوك طريق آخر طريق الغدر والتآمر عليه مع خصومه ، ولا سيما أبي الفراس الحمداني الذي كان يحقد عليه ويوغر صدر سيف الدولة عليه ، ويطلق الحسد والخصوم للنيل منه ولو في حضرة سيف الدولة .

وكان أبو فراس وغيره قـد افلحوا في ايغار صدر سيف الدولة على أبى الطيب وتحريضه حتى وصل به الأمر الى ان يعرض عن المتنبي إعراضاً فيه جفوة وفيه مقت ، والى ان يرمية بالدواة وهو ينشده احدى قصائده فيه

وكانت هذه البادرة من سيف الدولة حافزاً لابن خالويه ان يتجاوز الحدود لاهانته على مرأى من سيف

الدولة ، فقد جرت يوماً مسألة في اللغة بين ابن خالويه وأبي الطيب اللغوي في مجلس سيف الدولة ، وكان المتنبي حاضرا « فقال له سيف الدولة : الاتتكلم يا أبا الطيب ؟ فتكلم بما قوى حجة أبي الطيب اللغوي » وضعف قول ابن خالويه ، فأخرج - ابن خالويه - من كمه مفتاحا حديدا ليلكم به المتنبي ، فقال له المتنبي ، اسكت ويحك » ثم غمزه المتنبي في اصله بعجرفة ممقوته ، وقال : « مالك وللعربية ، فضرب وجه المتنبي بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه » فلم ينتصر له سيف الدولة ولا رد ابن خالويه .

ولايبعد أن كان سيف الدولة موغر الصدر على المتنبي الذي لم يقصر في ملازمته ولم يمدحه أحد بمثل مامدحه به وليس من مرد لحقد سيف الدولة إلا شعوره أبي الطيب بالأنفة والاباء والكرامة ، ولكن الكرامه ، والاباء وعزة النفس عند سيف الدولة وأمثاله ينبغي ان تنزع كلها عند باب ديوانه وعتبة مجلسه .

واذا فطن المتنبي الى ما كان يدبر له بسكوت سيف الدولة وعدم انتصاره له ، وإعراضه عنه على مفارقة سيف الدولة والتخلص من هذا الجو الخانق المتوتر المليء بالحسد والحقد والاعتداء ، وفي نفسه الكبيرة يتردد معني قوله الخالد :

وأحتمال الأذى ورؤية جانيه
غذاء تضوى به الأجسام

كان ابن خالويه مثقفا بثقافة عمره من أدب ولغة ونحو وتفسير وقراءه ، وكان قد ألم بما يحتاج اليه المعلمون والمؤدبون ، وتعلق بأطرف من هذا وذلك مما يحتاج اليه في المنادمة والتأديب .

وكان له كتب في موضوعات مختلفة ، ككتاب « اعراب ثلاثين سورة من القرآن » وهو الأثر المطبوع الوحيد فيما اعلم ، وكتاب « الجمل » وكتاب المبتدأ وبعضها في اللغة ككتاب « اشتقاق ابن خالويه » وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب « ليس » وبعضها في القرآن تفسيرا وقراءة .

وقد ساعده على الخوض في هذه الموضوعات المختلفة احترافة التاديب ومقامه في بغداد التي كانت حلقاتها العلمية حافلة بشيوخ اللغة والأدب والنحو ، ورحلته الى الحجاز والى حلب حيث استقر به المقام وقضى بقية عمره ، هنا وهناك كان قد التقى بشيوخ واساتيذ من ذوي التخصص في تلك الموضوعات المختلفة ، وكان يختلف الى مجالسهم ويأخذ عنهم .
أما الأدب فحظه منه قليل كما يبدو ، وله فيه كما تروى كتب الطبقات آثار منها كتاب « شرح المقصورة » مقصورة ابن دريد الذي سبق ان تلمذ له في بغداد بعد وصوله اليها من همدان .

وقد رويت له أشعار ، منها لم يرتفع به الى مستوى الشعراء ، ولم يخل من تكليف وتصنع . ومماروي له قوله :

أيا سائلي عن قد محبوبي الذي
كلفت به وجدا وهجت غراما
أبى قصر الأغصان ثم رأى القنا
طوالا فأضحى بين ذاك قواما

وقوله :

إذا لم يكن صدر المجالس سيد
فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائل مالي رأيتك راجلا
فقلت له من أجل أنك فارس

وما روي له لا يتعدى البيتين او الثلاثة ، ولا اعلم ان له قصائد .

وهو مع كونه شافعي المذهب كما زعم السيوطي كان قد الف كتابا اسمه « الآل » ذكر فيه الأئمة الاثني عشر ومواليدهم ووفياتهم وقد اضطر فيما يبدو لي الى ذلك اضطرارا لأن العيش في كنف سيف الدولة يقتضيه والا اسلم نفسه الى عيشة الكفاف ، وهي مما ركب المصاعب من اجل الابتعاد عنه او التخلص منه .

وظل ابن خالويه ملازما سيف الدولة ثم ولده « شريفا » وغيره من آل حمدان من بعده ، وتوفي بحلب عام سبعين وثلاث مئة

الى ولدي معن

شوقي يهدهدني اليك الى عناقك ياحبيبي
أنت الرجاء وما رجوت سواك في الدرب الغريب
لي في ابتسامك يابني تألق الأمل الرطيب
لي في ندائك جنة نشوى بأحلام وطيب
علقت قلبي بالحياة ولم أكن أخشى مغيبي
وجعلت أيامي تطوف بروضك النضر العجيب
ما أنت في الدنيا سواي على متابعة الدروب
ما أنت غير خلودي المعطاء في الافق الرحيب
ياأنت يانفسي فديتك أنت يانجوى القلوب

★ ★ ★

شوقي يهدهدني اليك الى مراتعك الشذيه
كم طفت حولك يابني وكم جثوت على يديه
تبكي وتضحك والمنى في حالتيك منى رضيه
وتمزق الاوراق ما أحلى تناثرها عليه
وتكسر الاطباق فلتسلم يداك العبقريه
وتشدني عند الصباح فديت طلعتك البهيه
وأناملا ـ كالعاج ـ تعبث ـ كالضحى في وجنتيه
ما بيتنا لولاك ، أنت عبير روضته النديه
وزهوره وضياؤه وملاك جنته الزكية

★ ★ ★

اتحبني وتهز راسك تلك معجزة البيان
وتدل بالكفين عما يعتريك من المعاني
ولسانك المغلول أحلى ماسمعت من الاغاني
فاذا نطقت فلفظ « بابا » يالقيثار الزمان
لك لثغة كاللحن كالوتر المرن على اللسان
أنشى بها وأتيه في الآفاق لا أدري مكاني
وأصيخ للالهام يحملني بأجنحة الأماني
عش يابني لقلبي الصادي وغرد في جناني
وانسج لي الاحلام صافية تشعشع في كياني

سعيد قنديجي ـ حماه

يوم الرحيل

كان يحب لفظة « الشلة » التي كنت اطلقها على مجموعة الاصدقاء في عيون الوادي . فبادرني بالسؤال منذ وصوله : اين الشلة ؟ فقلت له : سنلتقي بها في المساء.

وما جاء المساء الا وكانت حبة العقد الكبرى التي اعتادت « الشلة » ان تلتف حولها قد انهارت في لحظة خاطفة من قمة السعادة والنشاط الى قاع الفناء والعدم . لقد هوى الدكتور انور النعمان من على صهوة الحياة كما يهوي النسر من على صهوة الريح شلوا هامدا . وتجمعت « الشلة » كما احب ، لكنها تجمعت في وداع وليس في لقاء ، تجمعت في مناحة وليس في فرحه .

انى التفت وقتها رأيت الدموع لا توفر عيناً ، وانعكاس الزرقة التي علت وجهه لا يخطيء وجهاً من وجوه الناس جميعاً .

وكلما اصغيت سمعت الناس يتمتمون : « كم كان محباً وفياً وجريئاً قوياً ؟ » « كم كان مربياً مخلصاً واستاذاً ذكياً ؟ » « كم كانت خسارتنا بفقده ؟ وكم كانت خسارة الوطن ؟!!!

مات بالقلب من فاض قلبه حباً ووفاء فأدمت عليه القلوب ... وفارق الحياة من كانت حياته للجميع فبكى عليه الجميع ...

مات قلبه لكنه خلف في القلوب ومضة حب ..
وانطوت نفسه لكنه خلف في النفوس ذكرى طيبة ..
ونامت شفتاه لكنه خلف على الشفاه كلمة عذبة ...

لقد كنت اعرف انني اكن له كل حب ووفاء واحترام . ولكن ما كنت اعرف انني سأتمنى ان اكون بديلا يوم الرحيل ، وما كنت أعرف انني سأتمنى ان اكون زهرة صغيرة تزين نعشه وترافقه الى مثواه الاخير

سامي نعنوع

المخمور

قصة بقلم : محسن غانم

المذياع يتشدق بأغنية بدوية وانا اقعي على صفة زرقاء ، وحذائي عند مدخل الغرفة قابع تحت كرسي مبرقش ، وموجات من الالم الحاد تجتاح نفسي ، وفي فمي سيجارة أمتصها ، وأمامي كأس خمر ارتشفها ، اتمنى أن انهض واجرى بعيداً واظل اجري الى مالانهاية .

صوت غريب لايفتأ يهمس لي بانني سأموت قريباً وأوسد حفرة لا أخرج منها الا غذاء لنبات ذى جذور شرهة تمتص رفاتي ، فكيف اطمئن ؟ .

أنا ضيف يوسف اليوم ، ويوسف صديقي جداً منذ الطفولة ، طرق الباب ، ووقف صديقي بقامته الطويلة وفتحه بيد حذرة ليدخل امرأة حلوة ، صغيرة ، متزوجة . شعرت بامعائي تهبط وبشيء مايضطرب في معدتي ، فاتجهت الى المغسلة وتقيأت .

لم أشاهد من قبل زوجة خائفة ، وعندما وعدني يوسف بأن يحقق رغبتي بالاجتماع بصاحبته هذه التي حدثني عنها طويلاً ، كان يضحي لاجلي بشيء مهم . لكن وجه المرأة ذكرني بألف ألف جريمة ، وفي عينيها قرأت بشاعة الحياة ولؤم الانسان .

كان يوسف قد قال لي أنها غير محترفة ، انما هي طالبة لذة لاغير ، لذلك لاتقبل نقودا الحقيرة !!! كم اتمنى أن اقبض على عنقها فاخنقها للتو .

شعرت بخدر خفيف وبرأسي يثقل ، فتمددت على الصفة ورحت اراقبهما وهما مستغرقان في حديث هامس وكأنهما يجلسان وحيدين . وتخيلت أنني أنا الشيطان الذي ماخلا رجل بامرأة الا وكان ثالثهما .

قال يوسف :

ـ هل يعلم زوجك ؟ هل تقولين له انك ذاهبة لزيارة صديقة مثلا ؟

فأجابت :

ـ انه لايحتمل فكرة خروجي من البيت لوحدي لحظة من زمان . هو الآن في عمله ولن يرجع قبل ثلاث ساعات .

ـ اذن فانت فى عجلة امرك .

ـ الا تكفيكما ساعتان ؟ أنا لا أقدر أن اغامر وأتأخر فأثير شكوكه .

عندئذ اشتهيت أن أمسك بموسى حادة وأشوه وجهها ، وأن اضع مكان عينيها جمرتي نار ، وانهال على ظهرها بسوط ذي ثلاث شعب .

نزعت عن رأسها ملاءتها السوداء ووضعتها على السرير ، كانت رجلها تمتد تحت كرسي يوسف وقدمها تختفي وراء قدمه . وضحكاتها تخرج صفيراً من بين أسنانها البيضاء الصغيرة ـ المتفرقة .

خرجا من الغرفة وتركاني وحيداً ، نظرت الى الملاءة والمحفظة على السرير ، فسرت في عروقي رعدة ، رأيت المنديل الأسود يتحرك بطيئاً باتجاهي ، لم اصدق عيني ، اغمضتها مرات عديدة ، لكن الملاءة استمرت في زحفها نحوي ، فجمدت عروقي ، وتكورت في زاوية المكان احدق في الكتلة السوداء الزاحفة

تشجعت قليلا ومددت يدي لالمس طرف الملاءة بسبابتي ، فسرى في بدني تيار غريب احرق عروقي ، وعلق المنديل باصبعي . حاولت التخلص منه ، شددته

باسناني ، رفسته بقدمي ، ولكن بلاجدوى ، فقد التصق بكفي وتشبث بمعصمي ، وامتدت اذرعه الاخطبوطية تطوقني . وأرسل طرفاً الى عنقي وجذب سائر اقسامه لتلتف جيداً حول رقبتي .

صرخت . ولكن ياالعجب ، لقد بح صوتي ، فلم اقدر حتى على العواء اوالمواء او الحشرجة وبدا ظلام خفيف يلف الغرفة وانفاسي تضيق ، ومئات الصور الغريبة الاشكال والالوان تتراقص على الجدران والسقف . أغمضت عيني رغماً عني ، ولم اقدر على فتحها ، سكنت حركتي ، وفقدت سيطرتي على اعضائي وسرت برودة قاسية في كياني ، فادركت اني افقد الحياة ، اموت .

دخلا فرحين مبتسمين جذلين ، كانت يده ملقاة على كتفها واصابعه تعبث بخصلات شعرها وتدغدغ شحمة اذنها .

قالت :

- لقد قضى صاحبك ،

- اخشى ان تكون فيه بقية .

- هات عود ثقاب مشتعل .

- هاكه .

قربت العود المشتعل من يدي ووضعت النار على ذراعي ، فعلت رائحة الشواء ، ولم استطع حراكاً ولا صراخاً .

قالت :

- اطمئن . لقد مات .

- يبدو كذلك .

- هيا احفر قبره .

- انه جاهز منذ زمن بعيد ، ساعديني فقط لنجره الى الحديقة .

وسحباني بقسوة ووحشية عبر الفناء ، وارتطم رأسي بالبلاط البارد . وفي الحديقة ادلياني وأهالا علي التراب ثم انصرفا .

موسيقى غريبة وضوضاء تاتيني من سطح الارض . بدأ جلدي يتساقط وعضلات جسمي تتفسخ .

وخرجت ملايين الحشرات من جوانب القبر ، وانقضت على تنهشني ، ولفني عدد هائل من جذور النبات ، حتى لم يبق مني غير عظامي ، وحت في اغفاءة هادئة طويلة .

لا ادري متى استيقظت من غفوتي ، لكنني وجدت نفسي مطروحا فوق ارض معشبة في ارض برية مملوءة بالشوك والشجرات والصخور السود .

نهضت وسرت وتذكرت أنني ميت ، فكيف اعود الى الحياة ؟ لكنها الحقيقة فلا سلم بالواقع . اتجهت نحو المدينة ودخلتها من باب غريب لا اعرفه كان الوقت عند منتصف الليل ، والشوارع خالية والحراس قد ناموا ، والسيارات مبعثرة في كل ناحية ، ومئات القطط والكلاب تتجول في الأزقة تتخاطف القمامة والعظام . لم يستوقفني شيء حتى وصلت الى بيتي ، لماذا ارى النوافذ مفتوحة والضوء مشتعلا في مثل هذه الساعة المتاخرة ؟ لابد ان زوجتي العزيزة هناك في الداخل مع ابنتي الحبيبة تنتظرانني قلقتين من تأخري على غير عادة سابقة . ماذا اقول؟؟ بم أعتذر ؟؟ وأخيراً ضغطت جرس الباب وجلا ووقفت بعيدا بعض الشيء فسمعت وقع اقدام ثم فتح الباب بهدوء وظهر منه وجه رجل .

- ماذا تريد ايها السيد ؟

- انا ... اريد ... اريد ...

- لعلك اخطأت قصدك .

- لا اظن .. اريد ان ارى « سعاد » برهة ..

- سعاد ؟ .. زوجتي ؟ ...

انها زوجتي ، وهذا بيتي ، لست تائها ولا مخطئا ، وامتدت كفي فمسحت رأسي وانزلقت الى خدي وذقني ،

ثم استقرت متهدلة بجانبي ، عندما رأيتها امامي دون ان يختلج في وجهها عضلة تدل على معرفتها بي .

ـ لم يحصل لنا الشرف من قبل ايها السيد ، فماذا تبغي ؟ .

لعلك لم تمعني النظر .

ـ أرجوك هل من خدمة نؤديها لك ؟

ـ نعم ان تدعيني ادخل .

ـ هل جننت ؟

ـ ربما ، ولكن اين زوجك الذي ماتأخر عنك قليلا حتى استبدلته بآخر .

ـ انا لااعرفك .

ـ لقد كنت دائما لاتعرفينني .

ـ انك معتوه لاشك .

وهمست بصوت منخفض :

ـ من انت أكنت تعرف زوجي الاول ؟ لقد توفي منذ اكثر من عامين ، فارجوك ان لاتتحدث عن الماضي لاسيما وان زوجي يجهل كل شيء عنه .

وابنتك ؟

وبنفس الصوت الهامس أجابت :

ـ قضى عليها مرض خبيث فلحقت اباها بعد فترة وجيزة .

اغلقت الباب بعنف شديد ، وسمعت حوارها في الداخل .

ـ هل تعرفينه من قبل .

ـ طبعاً لااعرفه .

ـ سمعته يقول ان لك زوجا وابنه .

ـ وهل تزوجت قبلك احدا ؟ .. يبدو انه مخمور ضل الطريق الى منزله .

محسن غانم

سحب

أنا والشعر شقيقان سقانا نبع حب
وسكبنا ضوء عينيا على أعتم درب
أحرم الظل وأروي الناس من روحي وقلبي
وسراب كل آلامي وأفكاري وشهبي

★ ★ ★

اقرأى شعري في عيني .. في آفاق غيبي
شفقاً من ادمعي .. أو نفحة من فجر صحبي
ودعي خضر أغاني وأوراقي وكتبي ..

★ ★ ★

غروب

ماذا قطفت فتجر حيني ويفر حلمك من جفوني ؟!
الليل ظل الهم .. والانسـ ـام ترجيـع الحنـين
يامن تظـن بمـا تشا ء : سموت عن سحب الظنون
طفل .. أغرك مبكر للشيب أو عدد السنين ؟
لاخمـر تسكر كالجـا ل ولا مقبل كالعيون
ودمشق غاربة بأشـ ـرعة السماء .. على سكون
أنا ما جرحت الصمت بل لونت زهر الياسمين

سلمان ضحية

★ ★ ★

البرتو مورافيا

الدكتور : عبد المنعم مصطفى

ألبرتو مورافيا هو احد الكتاب الذين ابتسم لهم الحظ عن جدارة فوصل النقطة التي تمكنه من كسب وسائل العيش الرغيد بما يدره عليه نتاج قلمه ، وإن كان الطريق الذي اوصله الى هذه الامكانية طويلا متعرجاً . ولقد خدمته الظروف في الحقيقة اجل خدمة حينما جعلته ابناً لعائلة غنية مقتدرة ، فمكنته من العيش عائلا عليها دون تذمر عشرين سنة ، حتى استطاع ان يمزق عنه رداء الاتكال فينتصب مستقلاً بماله وداره . ولعل البعض يعجب كيف استهل كلامي بذكر المال من نتاج القلم.. ولكنني أورده تعمداً لأبين ان قدرة الاديب على تكريس جهوده لخدمة فنه واخراج مايخلقه له الفكر النابض من صور مبدعة دون القلق على تدبير لقمة الحياة هبة لايعرف قدرها إلا الأديب نفسه بما يجره عليه الركض وراء الرزق من عقم واضطراب في الانتاج وتكدير للموهبة .

ولنستمع الى مورافيا في ذلك وهو يقول :

« اظن ان الكاتب في ايطاليا يحتاج عادة من خمسة عشر الى عشرين عاماً ليشيد دعائم مركزه . واني اعرف ذلك من نفسي ، فلقد بقيت حتى الثالثة والثلاثين من عمري عائلاً على ابي في بيته . ولقد تمكنت - في الواقع - من احتراف مهنة الكتابة لان عائلتي كانت غنية فتقبلت بقائي عائلاً عليها بكل تفهم ورحابة صدر . ولقد بدأت اربح شيئاً يقيم اركان استقلالي الاقتصادي بعد سنة ١٩٥٠ فقط » . هذا ماقاله اشهر كاتب ايطالي على قيد الحياة ، واحد الكتاب الايطاليين القلائل (اصابع اليد الواحدة تكون كثيرة في عدهم) الذين يتمكنون من العيش برفاه من نتاج اقلامهم . وباتت كتبه تترجم الى عشرات اللغات وتصل المبيعات منها الى حد تضاهي اكثر كتب العالم شهرة وانتشاراً .

ولقد اكتسب من وراء ذلك شهرة طائلة حتى باب كثير من وما تكاد اقدامهم تطأ ارض ايطالية إلا سألوا عن مورافيا واين يمكنهم مقابلته .

ويعلم مورافيا ، دون شك أي مدى وصلت اليه شهرته ، ولعله في قرارة نفسه يستطيب تلك الشهرة ويتلذذ بها ، وإن حاول منع ذلك السرور ان يظهر في تصرفاته واقواله . فالظواهر تظهره وكانه امرؤ يحب الاعتزال ولا يرغب في إن ينفذ احد الى حياته الخاصة و يعتبر الشهرة نوعاً من الازعاج الذي لابد منه . ويقول في ذلك :

« إن الكاتب ليس بطلاً من ابطال السينما ، وليس في عمله ذاك المظهر المغري الجذاب . فلماذا يأتي لمقابلتي من لااعرفه ؟ ولماذا أصبحت بعد نشر روايتي « اللاابالیون » شهيراً فجاءة ؟.. لم يحاول احد معرفة ذاتي ، حتى قرائي انفسهم.. كنت أسماً لاغير ، وكنت بدون هذا الاسم رجلاً لايثير أي اهتمام أو جدل » .

إن وظيفة الكتابة وظيفة مرهقة صعبة ، تحتاج الى عمل وصبر . والبرت مورافيا صورة الفنان التي خلقها لنا العصر الرومانتيكي . فليس فيه اندفاعات وقسوة

ونبوغ فجائي . وطريقه عيشه عادية هادئة دون اضواء وضوضاء لرجل لايريـد ان يتميز بشيء عن غيره من الناس . حتى الصالة التي يستقبل فيها عادة زواره و محبيه تنبىء عن خصلته هذه ، وهي لاتعكس أي فكرة عن عمله وفنه ، فهي غرفة بسيطة نظمت بذوق سليم تقبـع عربـة المرطبات في مكان ملحوظ منها ، وتزين بعض اللوحات الزيتية الجدران ، وينتصب الحاكي على منضدة ، وتمتد في ركن منها اريكة وثيرة واسعة ،

وتعكس شخصيته الهادئة هذه نظام عمله وجده فيه ومثابرته عليه والتزامه « بروتين » دقيق يكاد يكون صعباً ومملا وثقيلا .

« اني اشتغل صبح كل يوم من الساعة الثامنة حتى منتصف النهار . وقد سرت على هـذا المنوال منـذ سنوات طويلة .

واستطعت بفضل هذا التنظيم والمثابرة على العمل ان اكتب كثيراً دون ارهاق نفسي واجهادها . فلا يجدي التحليق في اجـواء الخيال بقصة أو رواية علقت بذهنك قتيلا . يجب ان تجلس الى مكتبك وتكتب على الآلة الكاتبة ما يمر بخاطرك . ولعلك تضطر الى إعادة ما كتبته من صفحات مرات عديدة . وسر النجاح يقبع كله باتباع هذه الطريقة » .

ويتحدث مورافيا بصوت جاف ... صوت رجل تعود على ان يطلق على كل شيء اسمـه الحقيقي دون ان يضيف إليه حواشي التنميق والتزويق . فهو يدعو من يستمع اليه ان يشبهه بمحاسب أو مدير اعمال يضيف رقماً الى رقم دون ان يعتمد على الخيال . ولكن من يغوص في اغوار نفسه لايجد هذه الصورة عاكسة شخصه وروحه . فهو يعمل حقاً بانتظام ومواظبـة من الساعة الثامنه صباحاً حتى السـاعة الثانية عشرة ظهراً ، ولـكنه لايسـتطيع الصـمود طـويـلا وراء منضدة الكتابة .. فتراه يذرع الغرفة حينا وآخر جيئة وذهاباً ، ويرفع صوته بالجملة التي اختارها ليرى جمـال وقعها على وسمعه ، ويختبر لياقتها ومطابقتها التامة لاحاسيس نفسه قبل ان يضعها بشكلها الاخير . ولهذا فهو الكاتب الذي لايمكن ان يجد المرء في كتاباته إهمالاً ، ولا يمكن ان يقع ناظراه على تزويق مصطنع وتنميق وتجميل يغلب عليه التكلف بل تجـد كلمات موجزة بسيطة ولكنها عميقة واضحة كأنها سهام متعددة اطلقت كلهـا في اتجاه معين مرسوم وهو نهاية القصة : فهو الهدف الذي يريـد ان يصل إليه قاصاً هذا الحادث وراوياً ذاك .

فهو قصاص واضح الاسلوب نقيه ، واعنى بذلك انه عندما يبدأ الكتابـة لا يلتفت الى أي أمر آخر خارج القصة ومضمونها الذي يريد ان يقدمه . فهو يوقت توقيتاً دقيقاً أي نتاج له سواء أكانت قصه قصيرة ام رواية كما يوقت المرء ساعته لتدق في الوقت المعين المطلوب . ولذا من الطبيعي ان لاتجد في صفحات ما يخطه قلمه مجالاً لثغره أو فـراغ ، بل ترى أسلوبه ينساب سلساً طبيعياً دون فجوة وكأنه يسير على وتر مشدود . وما يصل قارىء الى نهاية ما كتبه حتى تكون الحوادث كلها أمامه وقد سردت وتدرجت وتداخلت وفسرت بوضوح قاس عنيف وبتجرد بدائي خشن ، بل يمكننا الاقتناع إن قرأنا اي كتاب لمورافيا باننا لانقرأ كتاباً بل نحيا حياة واقعية لشدة ارتباط مايكتبه بالواقع .

ويشرح مورافيا هوايته لفنه بقوله :

« اني استطيع ان أوكد ان الميل القصصي في غريزي طبيعي طاغ . ولم اكن اعرف بعد كتابة القصة عندما كنت أقص لنفسي قصصاً متسلسلة ، اخترعتها يوماً بعد يوم ، وخاصة في ايام الصيف وانا مستلق على الرمـال قرب البحر ، آخذاً كل مرة بنسيج القصة لاكمله وبادئاً بآخر خيط نسجته في المرة السابقة » .

ان هذا لهو اعتراف ثمين يساعدنا في تفهم الشيء الكثير عن شخصية مورافيا وفيه

ولابد لنا ، قبل ان نتعمق في امر هذا الاديب ان نلم المامة خاطفة بتاريخ حياته التي يكفي سردها لشرح كثير من خفايا نفسه وادبه . فلقد ولد البرتو مورافيا في مدينة روما في الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٠٧ . وكان ابوه مهندسا ورساما له في الفن اصالة وابـــداع . وكانت امه ، تريزا دي مار سنك ، اخت رجل سياسي ايطالي له وزنه ومقامه .

كانت رغبة والدي مورافيا ان ينخرط ابنهما في السلك الدبلوماسي وتحقيقا لهذه الغاية جلبا له المربيات لتعليمه اللغات الافرنسية والانكليزية والالمانية . ولكن لم تكن النتيجة ولم يحصل الصبي في المدسة على درجات جيدة الا في دروس اللغة الايطالية والجغرافية والتاريخ ، وكانت درجاته في المواضيع الأخرى واطئة مخيبة . وهو يعترف حتي اليوم بانـــه لايستطيع ان يتم عملية قسمة بسيطة بنجاح ! .

وقد تبخرت كل المخططات التي وضعت لمستقبل الصبي عندما وصل التاسعة من عمره حيث اصيب بتدرن العظام الذي اجبره على ترك المدرسة ليضع نفسه تحت معالجة طويلة ومؤلمة . ولكنه مع هذا استطاع ان يتقدم لامتحان الدراسة المتوسطة . ولقد حمله فراش المدرسة بين ذراعيه ووضعه امام لجنة الامتحان بعد ان رفعه من العربة التي اشترتها له امه لان الضعف والمرض جعلاه لايستطيع الوقوف على قدميه وحده .

ونجح مورافيا في الامتحان ، ولكن بمساعدة اللجنة المشرفة على الامتحان كما يعترف هو نفسه بذلك . وهكذا بقيت شهادة الدراسة المتوسطة هي الشهادة الوحيدة التي يملكها الكاتب الشهير مورفيا . واخيرا . وبعد سنوات ثـــلاث قضاها حبيس الدار مضطجعاً على فراشـــة نقل الصبي بناء على نصائح اطبائه ، الى مصح « كودفيلا حيث بقي فيه مدة سنتين اخريين . واستفاد مورافيا من هذه الفترة في تنمية ثقافته وتوسيع مداركه بالقراءة الكثيرة . واخذ يلتهم الكتب في هذه الفترة التهاما كتابا كل يومين . وبدأ حينذاك بمحاولاته الاولى بشق طريق الأدب والكتابة . فخط اول ابيات من الشعر جادت بها قريحته ؛ وان كانت كما يعتبرها الكاتب اليوم ساذجة رديئة .

وفي عام ١٩٢٥ خرج مورافيا من المصح ، ولكنه لم يعد الى داره ، بل كانت حالته الصحية تضطره الى العيش في منطقة جافة مرتفعة ، ولهذا السبب اتجه الكاتب الى مدينة (بريزانونه) وسكن في احد فنادقها ، وتمكن بعد طول العلاج والتمرين ان يقف بمساعدة عكازين ولكن ساقه المريضة مسجونة بجهاز طبي خاص . وفي مدينة (بريزانونة) نفسها وفي خريف ذاك العام عينه ترك مورافيا نظم الشعر واقبل على كتابة القصة التي بدأها بروايته (اللاابالييون) وبـــدأ يكتب وهو في سرير المرض ، وكان نصيب الاغطية دائماً مزيدا من بقع الحبر التي تنتشر هنا وهناك . وكانت طريقة عمله في كتابة قصته طريقة حقا : فهو يصوغ اولا كل جملة في مخيلته ثم يرددها لنفسه بصوت عال ثم يكتبها دون ان يفصل بين الجمل بنقط او بفوارز . بل يكتفي بان يضع بين جملة واخرى خطا بسيطا . واستمر بعمله المرهق هذا ثلاث سنين الى ان اكمل روايته . واذا حصل اخيرا على المسودة كاملة بين يديه ، اضاف اليها حينذاك النقط والفوارز وارسلها الى رئيس تحرير مجـــلة (٩٠٠) وكان رئيس التحرير هو السنيور « ماسمو بونتمبيلي » (احد كتاب ايطاليا المشهورين) ولم تكن النتيجة مشجعة اذ لم يكد ماسمو يقرأ الكتاب حتى اعاده الى مؤلفه قائلا انـــه : « ضباب من كلمات لاغير » .

ولم يضعف هذا الحكم السلبي القاسي عزم مورافيا فاخذ مسودات روايته وذهب بها الى ميلانو حيث عرضها على دار للنشر تدعى « البيز Alpes » ورافق الحظ ، هذه المرة خطاه فقبلت الدار نشر الرواية ، ولكن لم يلبث طالع النحس ان اطل بنحسه من جديد ، فلقد طلبت الدار منه المشاركة في مصاريف الطبع ماذا يفعل وليس لديه مال يشارك فيه ؟.. وهب والده لعونه ، وخرج الكتاب بعد ان دفع ابوه لدار النشر خمسة آلاف ليرة . وطبعت نسخ محدودة لاتتجاوز الـ (١٢٠٠) نسخة من هذه الروايه . ولم يكن هناك من يأمل كثيراً من وراء هذه الطبعة فعنوان الكتاب غريب غير شائق ، ودار النشر من الدور الثانوية ، والمؤلف يكاد يكون نكره ولكن الرواية لم تلبث ان نالت نجاحاً فاق كل تفاؤل .

ولا اريد ان ادخل الآن في نقد وعرض هذه الرواية بل سأتركها الى ان انتهي سرد تاريخ حياة هذا الكاتب الكبير لانعطف على ادبه بصورة عامة للبحث والتعمق فيه. ولكن يكفي أن أقول هنا ان مورافيا لم يعتبر عمله هذا عملاً له غاية سياسية خفية فهي تقص حوادث مرة وبائسة لشاب ليس له قابلية الثورة ـ ثورة صادقة حقيقية على حالة عائلية حزينة ولو لم تثر هذه الرواية ضجة كبيرة ، حتى في خارج ايطاليا نفسها ، لما حاولت اية سلطة ايجاد حقيقة ، مايعنيه كاتب القصة خارج المحيط الادبي والمعنى الفني له . ولكن نجاح القصة ، بدلا عن ذلك ، جعل التضاد يبرز واضحا امام الناس بين الجو الرسمي الذي تخلقه الدعايات الفاشستية بالتظاهر الكاذب في « الرفاه ولا امل الصحي والرفعة الروحية » التي يصورون الشعب الايطالي فيها ويدعون ان انوارها تغمر ارض ايطاليا ، واليأس المفجع الواقعي الذي تعكسه تصرفات بطل الرواية . وحسبنا من ذلك عنوان الرواية نفسها : اللاابالیون ؟ .

ومن الطرافة والغرابة معا أن هذه الرواية التي ازعجت الطغاة الفاشست قد سطرها قلم حفيد احد كبار المسؤولين في ذلك النظام نفسه ، وقد نشرت في دار كان مؤسسها الاحياء ـ حينذاك ـ « ارنالدو موسوليني » وهو اخ بنيتو موسوليني دكتاتور ايطاليا .

وكانت هذه الروايه بداية لعداوة مستحكمة بين النظام المتفسخ والكاتب الجديد . واستمر هذا التباعد بينهما عمقا وسوءاً يوما بعد يوم ، حتى بات صراعا واضحا بين الجانبين. وفرض النظام الفاشستي عليه جواسيسه ومضايقاته وبدأت حملة ارهاب ضده واخذت الحلقة تضيق على الكاتب الحر شيئا فشيئا، فلم يجد بدا. وقد اصبحت حياته في ايطاليا جحيما لايطاق ، الا انه ركن الى هوايته المفضلة: السفر. وحاول دائما ان يطيل اقامته في البلاد الاجنبية الى اقصى مايستطيع . فزار باريس ولندن وشد الرحال الى امريكا والصين واليونان . كان يعود الى بلده ايطاليا ليجد الاسباب الداعية له من جديد للابتعاد والهجرة

كان طريق مورافيا في الكتابة كطريقه في الحياة سهلاً وفي نفس الوقت معقداً . فبعد النجاح الكبير الذي ناله من روايته الاولى والذي لم يكن يتوقعه أحد له ، وجد نفسه مجبرا على الاعتكاف والعزلة ، وقد اختنقت قابلياته بالضغط الذي فرض عليه وهذا مايفسر طول الوقت الذي احتاجه لانهاء روايته الثانية « الطموح المغلوط » التي لم تر النور الا في سنة ١٩٣٥ .

وكان الفاشست له كالعادة ، بالمرصاد . فلم يعر النقاد الرواية ، بأمر من وزير الثقافه الشعبية اي اهتمام ، فاهملوها وتجاهلوها تماماً ولم يكرسوا لها حرفاً . ولم تكن مصائر كتبه الاخرى وهي : « المكر L,imbroglis » التي طبعت سنة ١٩٣٧ ، واحلام الكسلان (sojnidel pigro) التي طبعت سنة ١٩٤٠ ، والمقنعة ، (La Mascherata) التي طبعت سنة ١٩٤١ والعشيقة التعسة (L,amante injelice) التي طبعت سنة ١٩٤٣ باحسن من الاولى . إذ اهمل

النقـاد كل هـذه الكتب اهمالاً شائناً وكانهـا ولم تكتب ولم تنشـر ولم يطلع عليها احـد . وكانت غاية السلطة العاتية حيذاك ان تخلق الفراغ حول الكاتب وتنسج حوله شبكة الاهمال والنسيان . ولم تتورع ان تلق عليه رسمياً لقب «المستهتر» لتحط من قدره وتطعن بكرامته واخلاقة بين الناس . ولم يكفها هذا كله بل وصل بهـا التعنت والظلم والحقد الى حـد ان منعتة من الكتابة حتى في الصحف والمجلات .

وفي هذا الوقت نفسه وفي سنة ١٩٤١ بالضبط تزوج مورافيا من الكاتبة الايطالية « الزا مورانته » وعقد زواجهما في احدى كنائس روما . ولم يكتف الفاشست بمنعه من الكتابة في الصحف حسب ، بل اغلقوا امامه كل مجال لاي عمل فني آخر ، ليزيدوا في تضييق انفاسه واخماد جذوره بنوغه وتغذية الياس في نفسه وإسكات اصوات القول الحكيم الصادر عن بلاغـة قلمه . ولكن الاصدقاء والمعجبين به لم يتركوه في الميدان وحيدا فهبوا لنجدته وفتحوا له المجال للاسهام في كتابة سيناريو فلمين هما « طلقة مسدس » و « زاوا » . ولم يظهر اسمه بديهيا بين اسماء العاملين في تحقيق هذين الفلمين ، اللذين اخرجهما المخرج الايطالي المعروف « كستلاني » لئلا يثير المشاكل والعراقيل امامهما .

وسقط الحكم الفاشستي اخيرا ، ولكن لم تدم فرصة الحـرية ، اذ لم تلبث القوات الالمانيـة ان احتلت في صيف عام ١٩٤٣ مدينة (روما) ، واضطر مورافيا الى الفرار اذ كان اسمه ضمن قائمـة الذين تقـرر اعتقالهم والانتقام منهم . وصعد مورافيا وزوجه الى قطار متجه الى الجنوب آملا ان يخترق خطوط جبهة القتال ويصل الى المنطقة المحررة من ايطاليا . ولكن لم يلبث مورافيـا ان توقف في مدينة « فوندي » وعاش مورافيـا وزوجه تسعة اشهر كاملة في اسطبل احد المزارعين في الجبـال القريبة من المدينة . وكانت اشهرا قاسية صعبة من ضنك العيش وقلة الطعام والقلق المستمر ، ولكنها لم تعـدم ثارا شهية من تجربة جديدة رائعة احالها الى رواية شائقة ذات وصف دقيق باهر لظروف الحرب وعيشة المهاجرين وذلك في روايته الرائعة « I aefoeioria »

وانتهت الحرب ، فبزغت بانتهائها اخصب فترة من الانتاج الادبي للكاتب الكبير . وولج بها اول محاولاته الموفقة لكتابة سلسـلة من القصص القصيرة التي بداهـا بقصته الناجحة (اوغستين) التي نشرت عام ١٩٤٥ ، والتي تعد ، دون جدل اعمق واروع نتاج له . ثم تبعها بقصة « الخدعة » (IL eolqo Gobbo) ، ثم رواية « امراة من روما » (LA ROMANA) ، التي اعـادت بعـد عشرين عاما من نجاحه الباهر الاول في روايه « اللااباليون » نجاحا طاغيا جديدا .

ولم يكن امام مورافيا ، وقد دان له المجد ورفرف علم النجاح على هامته ، والهبت اكف النـاس في ايطاليا وخارجها بالتصفيق له والاعجاب به ، الا ان يستمر في الطريق الذي سار فيه . واذ عـاد اسمـه الى الصحف واخذت السينما تدعوه اليها وتبدي اهتمامهـا بانتاجه الناجح الضخم ، كانت كتب مورافيا تخرج من دور النشر بتتابع سريع لايمكن ان يفسر الا بالطريقة المجهدة المنظمة المستمرة التي يسير عليها مورافيا في عمله الادبي .

ولمورافيا من الروايات ، الحب الزوجي (Lamore Coniugale) المحافظ (licoform ista) والاحتقار (ildishrezzo) . ثم سلسلة (قصص من روما) « Raconti Romani » التي يصل بعضها الى حد الكمال حقا . ثم الدراما بيتريسة جينزي (Beatrice Genci) .

ان من يلقى نظرة عابرة على الانتاج الضخم الكبير لهذا الكاتب ليظن ان قصص مورافيـا ورواياتـه تتمثل منها انـواع متبـاينـة من الصـور والعلاقـات والمصالـح والغـايات وانهـا بحث مجهـد مجهد شاق لجمع مقتطفات متنوعة من الواقع ولكن

بنظرة عميقة فاحصة نستطيع ان نتبين ان هناك سلسلة متينة تربط كتبه بعضها ببعض .. انها تجمع بين اشد تلك الكتب - تباعدا واختلافا ، ولذا كان لمورافيا الحق اذ قال انه لم يقم في الحقيقة - كاي قصصي آخر - الا باعادة كتابة ، الكتاب نفسه بصورة متكررة : قصة تجربة المرة العميقة في الحياة . وهذا الراي نفسه يمكن قوله عن قصته الاخيرة الضجر (LANOIA) . التي بيع منها في اشهر قليلة في ايطاليا وحـدها عشرات الالوف من النسخ والذي يثير انتباه القـاريء لكتب مورافيا ان معظم نتاجه يعتمد على المشاكل التي تنبع من العلاقـات بين الرجل والمراة . وقد يتحرر في اكثر الاحيان من كل قيد أو حد فيغوص في اعماق تلك العلاقات ويسهب فيها وصفا وتوضيحا ، ولقد اجاب مورافيا اجابـة غير مباشرة عن سبب اتجاهه هذا حينما علق على راي الكاتب الكبير الكسندر مانزوني في كتابه (Promessi Sposi) او «الخطيبان» حيث قال الكاتب المذكور ان على الكتاب يتجنبو قدر مايستطيعون الخوض في الحب ومشاكله في كتبهم ، لان الحياة مملوءة به ومشبعة باخباره . فعلق مورافيا على ذلك بقوله ناقداً : في الحياة من الحب الشيء الكثير من واجب القصصي ان يبحثه » . وهكذا يرى قاريء مورافيا ان الكاتب امين على رايه هذا فلا يكاد يتصفح كتابا من كتبـه الا وهو يجـد مشاكل الحب والعلاقات الجنسية وهما الباعث المحرك له .

ان سبب نجاح مورافيا الفني يعود ، دون شك ، الى تلك الموهبة الفذة وذلك التفهم العميق وتلك النظرة الصائبـة التي يطلق عليها اصطلاح « الادراك السليم » . انى اعلم ان هذا الاصطلاح يثير دائما من الجدل الواناً ولا يسلم من التعرض للانتقـاد ، ولكن كيف السبيـل ان لم نلاحـظ الرفـض العنيـد الذي يصـر كثير من الكتاب المدققين المتزمتين ان يضفوه على طريقة مورافيا في الكتابة وعلى طابع اسلوبه السلس السهل .. انهم انصار عنيدون ومتزمتون للطريقة غير المباشرة في الوصف والكلام التي تدور وتراوغ وتطيل وتعقد وتتلاعب بالالفاظ وتأتي بالصعب المغمور من الكلام وتزوق الجمل وتعقدها لتقول ، اخيرا ، اشياء بديهية امعروفة ! بدلا من ان تقدم بسهولة ويسر الحقيقة المجردة التي حصلت عليها اما الادراك السليم لمورافيا فهو يعتمد ، قبل كل شيء على التفهم العميق للحياة . فهو انعكاس لثقافة واسعة اتت من مطالعة عميقة متواصلة وفضولية مندفعة في استقصـاء الامور والانتفاع بتجارب الحياة . ولمورافيا ميزة واضحة هي انه لا ينظر في الحقيقة لكل قضية ومشكلة نظرة ثابتة قريبة كما ينظر المرء من خـلال عدسات المجهر للاشياء لفحص دقائق جزيئاتها . . بل تراه ينظر الى الامور نظرة شاملة من افق واسع واضح ممتد . وذكاء مورافيـا ، ايضاً له ميزة خاصة ولون معين ولعله يظهر ، لاول وهلة وكأنه ليس لكاتب ولا ينتمي ، بالتاكيد ، لأديب . فالذكاء نعمة غريبة جداً ، يمكن افتراض انها قابلية للاتصال والهضم و (التمثيل) المنطقي ،. كما يمكنهـا ان تولد مباشرة من رد الفعل العصبي ، ومن المباشر بالطاقة الحيوية في اعرف الكثيرين من الشعراء والادباء الذين يظهرون لاول وهلة ، وكأنهم معدومو الذكاء فاقدو الفطنـة ثقيلو الحركة ، ولكن من ينكر تلك الاضواء الساطعة من الذكاء المتوهج والنظرة العميقة الصائبة والتحليل الرائع الحيوية المتدفقة التي تظهرها قراءة ماينتجون ؟ ؟ اما ذكاء مورافيا فهو ذكاء يريد ان يكون كله منطقاً . فحديثه حديث بسيط جـداً ، ولعل بعضهم يرى انـه يصل الى حد السذاجة وكأنه لايعرف الخيال ولا الغضب ولا الدلال ولا الانفعالات (وهنا في الحقيقة تكمن قوته) ، فحتى من هذه البساطة المتناهية يمكن ان يولد ادب رائع طاغ . فعقلية مورافيا لا تعرقل ولا تعقد افكاره . بل ترسلها كلها دقيقة واضحة منطلقـة متحـررة لتعكس

احساساته العميقة الحساسة المرهفة شفافة مضيئة ، فهو يرخي العقد ويقلص الظلال ويميل الى الجواب الواضح الدقيق الصريح . ويحاول ببساطة وبتواضع ان يحدد ويعرف ويميز ، وذكاء مورافنا المرهف الحساس المتقد هو ذكاء منتبه حاضر - في الوقت نفسه - لرجل هيأ واعد كل شيء لمسيرته الفنية وهو يمخر بجرأة عباب العالم الخارجي ، ولكنه يحرق المسافات بسرعة ، ويقنع ، في النهاية ، بما استخلصه من عبر ونتائج وماعرضه من احداث .

حقاً ، لايستطيع المرء الا ان يتساءل لم يفكر مورافيا بهذه البساطة ونكتب بها ؟ انه يفعل ذلك ، كما اعتقد انا .. لان العالم ، قبل كل شيء ، بسيط وبديهي ويصبح في كل يوم يمر لمن يفهمه - ومورافيا يفهم ذلك جيداً لحدة ذكائه - اكثر بساطة وتواضعا وبديهية . فالحقيقة في امور الحياة تكشف بان ثلاثة ارباع الصخب واللف والدوران تكاد تخرج من الواقع عن حواش مطرزة لشيء بسيط جداوغيرمتحرك . فمهما يكن الامر فهناك حقيقة ثابتة صغيرة . وفي هذه البساطة الواضحة السهلة المرهفة تكمن قوة مورافيا وطاقته الغريزة .

لقد ظهرت قوته حينما عرف كيف يختصر مشكلة ويحل عقدة ، وان كانت عقدة مليئة بالانفعالات والعواطف ، ويجعل عباراته اكثرسهولة وبساطة . والمهم في الامر كله ان مورافيا نجح في اختصاره نفسه . وليس هناك من لايعترف بان الابداع يمكن ان ينبثق من جمال البساطة القصوى . فاني اعرف كثيرا من الكتاب الذين يقضون جل اعمارهم في احاطة انفسهم بالغموض ويثيرون الوهم من بين السطور بانها تحتوي على كنوز الاسرار ، يحومون دائما حول اغراءات اللذة والتشويق والرعية التي تثيرها التعقيدات . ولكن مايكاد الشخص الذي ملكت لبه تلك العقد واشبعت خياله تلك التخيلات وفتنته تلك الصورة الغريبة المصطنعة يعيد قراءتها بترو وامعان حتى يقطع شيأ فشيئا سلسلة متعاقبة من الاقنعة ويهدم اسوار الدفاع فيكتشف اخيرا ان ليس هناك شيء يكتشفه فيلتذ به او ينتفع منه فالتعقيد واللف والغموض تخفي محتوي فقيرا ساذجا وبديهيا فقط . انه الضعف البشري الذي ينفخ في كل انسان الرغبة في ان تتصور او تحمل الآخرين على التصور كم تحمل قلوبهم في طياتها من اسرار وغموض ، وكم تؤلف نفوسهم هي بحد ذاتها من احاج وتعقيدات . اما البروتو مورافيا فلقد اتخذ له طريقا معاكسا تماما فهو روائي اصعب مايكون عندما يدفع نفسه اكثر فاكثر الى السهولة والتيسير .

وهو لعقليته الفذة وذكائه الشامل الهادىء الدقيق لايتذوق ولا يشير في عمله الفني على مافيه من حقائق وصور يحويها العمل الفني الا الى حقائق وصور اسهل وايسر . وهو يعمد حتى حينما يتكلم عن مؤلف جديد في مقابلة صحفية او تصريح لمراسل ان يظهر الحقائق البسيطة ويعرض عن المحتوى الملون المغري للواجهات البراقة الظاهرة لمؤلفة . وما ان ينهي نقده القاسي لكتابة حتى يحط من قيمته بين الناس ثم يستعد لكتابة غيره . ويبدا مجددا ، هذه المهمة الشاقة المضنية من الخلق والهدم في هدوء .

لقد بدا مورافيا حياته الادبية بروايته الشهيرة « اللاباليون » وهي ثمرة تجمع امرين متناقضين : النضج ، وعدم النضج ، اما عدم النضج فلان عمر المؤلف حين الفها لم يتجاوز الثانية والعشرين واما النضج فلانه كتبها بثقة وعمق . انه لمن حق القاريء ان يعجب حينما يذكر ان عمر المؤلف حين كتب هذه الرائعة من روائع فنه لم يكن يتجاوز الثانية والعشرين وان يتعجب جدا اذ يحس منه الجراة في تصوير تلك الوقائع في روايته التي لايتحدث بها الناس عادة فى انديتهم واجتماعاتهم الا همساً انها وقائع مرة عميقة لايمكن ان توضع موضع

شك ، ولكنها لضخامه حوادثها تكاد تكون ضربا من المستحيل . فهي رياء وهي بظاهر كاذب ، والتظاهر الكاذب هو شكل غير مباشر للروحية والنظافه .

نحن في مدينة « روما » في حي (لودوينزي) ، بين اناس قدسبق أن اصابهم الثراء وهم يحاولون التظاهر بانهم مايزالون كذلك . ولذلك فانهم يشقون بهذه المظاهر الكاذبة . ترف زائف وذوق فج غير سليم . وتتم حوادث الروايه في غضون ايام ثلاثة فقط . وفي اثناء هذه الايام الثلاثة البائسة نتعرف على أم ناضجة كبيرة السن هي الارملة « ماريا كرازيا » كما نتعرف على عشيقها الشاب « ليو » الذي يشهد له بطوع الباع في ادارة الاعمال وايجاد مصادر المال وللأرملة ابنة تدعى « كارلا » ، وهي فتاة عاديه قد أصابها الضجر ، وللتخلص من مللها هذا تصبح عشيقة « ليو » كما أن للارملة ابناً شاباً ايضاً اسمه « ميخائيل » ، وهو شاب غريب الاطوار منعزل حيي يعرف صلات (ليو) الفاجرة بأمه واخته ولا يبدي اهتماماً جاداً بذلك وهو يمثل زمرة اللا أبالين خير تمثيل . ولكنه مع هذا كان ليأسه وضجره هو أيضاً . من الامور التي تحيط به ولملء بعض الفراغ والوحشة والخيبة التي تملأحياته يتظاهر بمحاولة الانتقام لشرف العائلة . فيطلق النار على « ليو » ولكنه ـ مع الاسف !! كان قد نسي أن يحشو مسدسه ! . وتنتهي الروايه بأن يترك (ليو) الام ليتزوج من البنت الشابة عشيقته ويشترك ميخائيل : الاخ المنتقم الذي خانه التوفيق ، في أعمال (ليو) التجارية . ويضاف لهؤلاء الأبطال الاربعة شخص خامس جديد هو (ليزا) التي كانت احدى عشيقات (ليو) سابقاً وأصبحت الآن عشيقة (لميخائيل) . وتؤكد (ليزا) لميخائيل خبر فجور أمه وعلاقة اخته الفاضحة مع (ليو) .

وهكذا نجد ان يد ليو (الطويلة) لم تترك امراة في الروايه لم تمتد اليها . وهذه ـ كما أرى ـ خير رواية عاكسة ومعبرة للحب الفاجر المتصل .

والغريب في مورافيا انه لايجبذ ولا ينقد ؛ إنه يضع الحوادث ويقص الوقائع بامانة تامة وبتصوير دقيق ثم يصنع الحادثة بتفاصيلها وصورها واحداثها كاملة امام عيني القارىء .. يضعها بكل مافيها من محاسن ومساوىء وما فيها من فضائل ورذائل وما فيها من طهارة ودنس .. وكأنه يهيب به أن يحكم في الامر . لأن الاحداث كلها بين يديه . وهو أبعد مايكون عن الاتجاهات الروحية وعن مثالية الكتاب القدامى كما هو أبعد مايكون عن الرغبة في الأسلوب الجدلي للطبيعين االذين يرون أن الفضيله والرذيلة هما نتاج الطبيعة كالكبريت والزئبق ، وان كانوا في قرارة فنهم لايستطيعون إلا معاكسة هذا الاتجاه . فكانوا متقلين بغايات مبدئية لا خطاء يجب لانتقامها والعدالة يجب اقامتها والحق يجب تثبيته . فالكاتب في روايته هذه ـ يقص حوادث مرة وبائسة لشاب ليس فيه روح الثورة .. الثورة الحقيقية الصادقة على حالة عائلية محزنة بائسة . وهي تعكس ـ سواء اقصد الكاتب الى ذلك ام لم يقصد اليه وضعاً حقيقيا فاسداً وروحية متعفنة واهية في في مجتمع فاشستي ارهابي يتظاهر كذباً بخدمة القيم الروحية والاخلاقية وهو في الحقيقة لايثير إلا هزالاً في روحية الشعب وتفككا لاخلاقه وانحلالاً بروابطه . وهذا ماأحس به الحكام الفاشست انفسهم فثارت ثائرتهم وحاربو مورافيا وقاطعوه .

ان من خصائص مورافيا في الكتابه أنه يتوغل في نفسية بطل الرواية المتكلم ، ويضعه بمستوى اخفض من مستوى نفسه . ويأخذ العادات والصفات والنفسيات والصور بحيث يكون عالم الرواية دائماً : « كما رآه فلان .. أو كما اطلع عليه من قبل ... » .

فمورافيا يستعمل الضمير « أنا » وهو يستعمله بصورة مطلقة دون وسيط ؛ واستعمال « أنا » يعطي نوعاً من عدم الثقة ذي أصل مثالي أو نسبي . فكان الامور في الحقيقة ليس لها من شاهد يشهد عليها إلا الضمير « أنا » للشخص

المتكلم ، والبقية الباقية كلها ليست إلا أشباحاً وفروضاً . ولكن (أنا) في عمل لمورافيا ليست له نفسه ، بل للشخصية التي خلقها في روايته ، فهي في الحقيقة : هو . إن افكار مورافيا ، وان كانت في الحقيقة ، وفي أصلها مثالية ونسبية ، إلا أنه قد اكتسب وهضم ايضاً التشخيص الماركسي ولعمق الشعور النقدي لديه نجد الواقعية تنفتح امامه بل تتربع في فنه ، الواقعية التي تؤكد الوجود احقيقي للعالم وتعني بشا كله وبشخصياته ، التي تدفع كثيراً من الكتاب احياناً الى واستعمال الضمير الغائب : (هـو) . لاضمير المتكلم (أنا) . وذلك بافتراض حدوثة المادي ووجوده الاكيد . فيتحدث حينذاك الحديث الحر الطليق غير المباشر . ولعل هذا هو ما أراد مورافيا شرحه في مقدمة روايته « امرأة من روما » (LA ROMANA) حيث قال :

« لعل بعض قراء الرواية يعترضون عليّ بان امرأة بسيطة من عامة الناس غير مثقفة (كادريانا بطلة روايته) لاتستطيع قص قصتها بنفسها وباستعمال الضمير « أنا » بطريقة ادبية كالتي اقرضتها اياها . وهذه ، في الحقيقة ، كانت المشكلة التي واجهتني . وكان أمامي طريقان مفتوحان لقص الصور الخيالية للبطله التي اخترتها . فاما ان استعمل طريقة الحديث الواقعية التصويرية واسلوبه العامي الواقعي لاناس من طبقة بطلة الرواية ادريانا وممن يقومون بمثل اعمالها (كانت بغيا) وهي لغة ساذجة فقيره لاتستطيع أن تعبر إلا عن مشاعر محدودة وحوادث معينـة ، وان أجعل ابطالى يتكلمون باسـلوبي المعروف ، كما فعلت في كل كتبي الاخرى . فاخترت الحل الثاني لسببين : اولها ، أني لاأجد سببا لتبديل اسلوبي لمجرد أني قد بدلت صـور ابطالي وثانيها : أن لغة الادب هي أكثر صدقاً وعمقاً وتأثيراً من اللغة العاميـة المتداولة ؛ انني لاأستطيـع ان افكر بان امرأة كادريانا (بطلة روايته) لاتستطيع ان تتكلم عادة كما تتكلم ادريانا في روايتي ، ولا تستطيع ان تعبر عن شعور وافكار كما تعبر هي في الرواية عنه . ومع هذا ، فلقد عزوت اليهـا تلك المشاعر والافكار التي تريد ان تعبر عنها فقط ان كان لهـا بلاعة اللسان وطلاقته وحده الذكاء » .

ولنلق الآن نظرة فاحصة اخرى على نتاج شهير آخر لهذا الكاتب الكبير .. لنتصفح روايته الأخيرة « الضجر » التي كسب بها شهرة واسعة وكان لظهورها صدى ملحوظ في المحافل الادبية والتي بيع منها في اشهر قليـلة عشرات الالوف من النسخ ، وان لم يكن هذا مقيـاساً لقيمة الرواية وسموها الفني .

دينو ، بطل الرواية ، فنان رسام عمره خمسة وثلاثون عاماً يعيش في مدينة « روما » يضجر ! . والضجر يملأنفسه الى درجة مطلقة دون امكانية لعلاج بحيث يفقده اي اتصال ويقطع اية علاقة أو رابطة له مـع الواقع ، ويجعله عابساً كئيباً ويجعل الاشياء كلها ، كل تلك التي تقع عليها عيناه أو تلمسها يده ، سخيفة غبية دون هدف أو معنى . ويـترك (دينو) الرسم ، فهو لم يعد يطيق القراءه ولا يتمكن حتى من سماع الموسيقى . وعندما يتعرف على شابة جميلة (سيسيل) وتصبح هذه خليلته ، فان هذه العلاقة هي الاخرى والـتي ولدت مصـادفة لاتلبث ان تفرق بسرعة مذهلة في ادران الضجر المفزعة .

وقر عزم (دينو) ذات يوم على فصم عرى هـذه العلاقة المضجرة . ولكن في اليوم الذي اراد ان يبلغ خليلته بقراره هذا أخلفت (سيسيل) الموعد فلم تحضر اليه .

وبينما كان في اليوم الثاني يجتاز (ساحه اسبانيا) في مدينة روما اذ لمح (سيسيل) وهي متأبطة ذراع شاب آخر . ويكفي هذا الشك البسيط باستقامتهـا أن يغير شخصية (سيسيل) بكاملها امام عينيـه . فلقد كانت (سيسيل) تضجره لانه كان مطمئنا من امتلاكها تماماً وانها طوع يديه . اما الآن وقد بدأت تنسل من بين انامله فانه يرى فيهـا

مخلوقة جديدة حية حقيقيـة معقدة . ويتجسس (دينو) عليها ويتبعها ، يجلس في سيارة مقفلة ، أو على كرسـي في مقهى قريب وهو ينتظر بصبر موعد خروجهـا من بيت عشيقها ساعات طويلة . وعندما تعترف له اخيراً بخيانتهـا له يرضي بتقاسمهامـع الآخر . وتلاحقه فواجس المحزنة وتتفتح له منها في كل يوم صنوف وألوان وهي تدفعـه بقسوة الى الالحاح المطلـق بمحاولته السيطرة عليها . بل محاولة تحويلها ، مرة اخرى ، الى شيء مألوف مسيطر عليه ومضجر . فيهب لها المال ، ويعرض عليها العرض تلو العرض الى حد انه يطلب منها ان تكون زوجة . ولكن محاولاته كلها تذهب هباءاً ، وتبقى (سيسيل) عنيدة لا منفذ اليها . فهي ترفض الزواج منـه ، تقوم من مال (دينو) بسفرة ممتعة مع عشيقها . ويحـاول (دينو) وقد أصابه اليأس ان ينتحر . ولكنه يفشل في محاولته وضع حد لحياته ، بـل يكتشف أثناء مدة استجمامه الطويلة من مرضه ، أن الاشياء المحيطة به تعود ليجد لها وجهاً وثقلاً ومعنى لديه . لعل وقت الضجر قد انتهى ، وانزاحت عن قلبه تلك الرغبة الضامئـة الدائفة في امتـلاك « سيسيل » . ولكنه في هذا الوقت ، وفي هذه الفترة التي اصبحت فيه عواطفه وأحاسيسه نحوهـا سليمة من هوس الامتلاك المرعب تعـلم معنى الحب . . معنى حبها .

ولنسأل الآن من هو « دينو » هذا ؟ اراه في مستوى يقرب كثيراً من مستوى الـكاتب ، بـل ليس (دينو) الا مورافيا وقد خلا من اية معرفة (بماركس) . ومن هذا التدخل في شخصية هي أقل مستوى نفسه ، ينفذ مورافيا الى الطبقة البرجوازية التي يمكن ان تعتبر شخصية (دينو) خير مثل واضح لهـا . برجوازية مدينـة روماً التي اثرت بالمتاجرة والمضـاربات في العقارات من بيوت وعمارات . وتثير هذه الرواية في النفس ـ في الحقيقة ـ كراهية واشمئزازاً لطرق واساليب البرجوازية المتعفنة يزداد كلما تعمق بتوضيحة بلغة رشيقة جذابة ، اسلوب مورافيا الواضح البسيط .

ومن هي (سيسيل) هذه التي لها هذه الاثارة الطاغية المغرية والتي تنسل من اليد فلا تقع في قبضتها ، والتي كادت تمتص (دينو) حتى تجعله عظماً هزيلاً ؟ انها تظهر لنا ، لأول وهله ، و كأنها احدى بنات المجتمع الاوربي الغربي اليوم . . احدى الفتيات المستهترات ـ البريئات معاً . . صور مطابقة « لبريجيت باردوت » مثلاً . ترتدي في الصيف قميصاً مفتوح الصدر و (تنورة) واسعة وقصيرة كتلك التي ترتديهـا الراقصات . وتلبس في الشتاء « بـلوزة » طويلة متهدلة من صوف اخضر و « تنورة » سوداء ضيقة جداً وقصيرة لا تكاد تصل « الركبة » . ويستمر مورافيا يصفها باسهاب وباسلوب مؤثر عاطفي يجعلها تأخذ تحت انظارنا ، شيئاً فشيئاً احجاماً عملاقة . وهي تظهر نفسها ، وبصورة غامضة معقـدة ، الجنسية المثيرة فقط . ليس لها ذاكرة ، وليس لها خيال ، ولا تعرف ملاحظة الاشيـاء ووصفها : فلا وجود للاشياء المختلفة بالنسبة اليها ، وليس هناك الا الاسماك التى تبرقهـا وتشير اليها : فكل الدواليب هي الدولاب نفسه . . وكل الدور هي نفس الدار .

ولا تظهر عندما تتكلم الا و كأنها صامتة لما لكلماتها من مسحة جوفاء لا لون لها ولا مضمون ، وليس لها تذوق للواقع . . لقد سألها « دينو » أتحبين هذه الحفلة ؟ فأجابت : « انها حفلة ! » . وسألهـا : كيف هي دارك ؟ فأجابت : « إنها دار كمثيلاتهـا من « الدور الكثيرة ، ليس فيها ما يستحق الوصف » .

لنتصور اذن لحظة شيئاً يمتلك السطحية فقط ، وهـو مهمل في زاوية ؛ بدون هدف أو فعل أو معنى : وجه غير معبر . . خيال انساني لا يستر شيئاً وراء اعينه المدورة « المبحلقة » ببلاهة ، ثم لسان فقد كل منطق ولا يسمع

منه الا صوته الميكانيكي المفزع . هذه هي صورة حقـــة « لسيسيل » ؛ بل هاهي ذي « سيسيل » حين وجدت نفسها وقد اصبحت مثلاً شاعريا عظيما .

انها رواية بنيت بشخصيـــات هم أقرب مايكونون للجثث الهامدة . ولعل سائلا يسأل لم كان دينو وسيسيل الى الاموات أقرب منها الى الاحياء ؟ والجواب : أن كليهما مصاب بالهوس العصبي . ولذا كانت الحواجز والسدود التي تقيمها لهما اجهزتهما العصبية المريضه قد احالت جسديهما الى ما يشبه الاجساد الميكانيكية . فلم يبق « لدينو » غير القلق « الذي يدعوه هو ببلاغـة وشاعرية بالضجر » الذي يحاول أن يجد له متنفساً بالهوس الجنسي . ولم يبق «لسيسيل» إلا الجنس « فلها أب مريض بالسرطان قد انجذبت نحوه منذ الصغر انجذاباً مرضياً مخجلا وبقى هذا الشعور الفاسق يعذبها دوماً . ولها ام من الطبقة البرجوازية الصغيرة ، ليس لها من رادع حياء وحشمة : حياة متواضعـــة اقتصادياً ، مزريه فكريا ، متقلبة اجتماعياً بدون أمل فهي لا تـــكاد تملك وجوداً انسانياً حقيقياً : كأنها ميتة .

ولكن أعجب الامور وأغربها هوماينبثق في النفس من شعور عند استمرارنا على قراءه هذه الرواية : فبيـــنما تكشف « سيسيل » شيئاً فشيئاً عن نفسها فتظهر وكأنهـا صفحة بيضاء معروفة المعالم واضحة الحدود دون تعقيـد واسرار إذ يبدأ « دينو » نفسه وموارفيا والقراء كلهـم بالشعور بانها مغرية ، رقيقة ، غنية عميقة لايمكن سبر غورها . فليس لبساطتها وصمتها وضجرها حدود .. وهو الذي يثير هذا التضاد في نفوس الجميـــع . وكيف يكون ، الضجر الحقيقي ، إذ لم يكن هـــذه الفتاة التي تشبه الاخريات ، ولكنها تبدو وكأنها خيال أو شبح ؟ ضجر الوجود الحاوي نفسه دون هدف او غايه .. ضجر الاشياء الصامته .. ضجر البقاء السطحي ، ذلك الذي يجبرنا على ان نعيش في مستوى سطحي واحد بينما تتفتح خلفنا الاعماق المرعبة والتي تثير الدوار .

ويظهر لى ان الوضعيـــة الجنسية المثيرة في كتاب مورافيا هذا هي حدث جديد لامثيل له : فهـو يشرح العلاقة بين مريضين بالاعصاب مرضاً اوصلهما الى درجة خطيرة تقريباً فدينو على عتبـة الاختلال العصبي ، ووصلت ، « سيسيل » الى حافة الجريمة « فان كانت قد قتلت احداً في الرواية هذه ملأظن قارئاً يستغرب او يدهش » فعلاقتها إذن لاتحل ولا تحد دون سبب ، ودون عاطفة وشعور .

واستطاع مورافيا بقدرته العظيمة أن ينزل بالظاهرة الكلاسيكية « للاثاره الجنسية » الى ظاهرة مرضية خاصة ليس لها من الكلاسيكية صبغة أو اثر .

ومع هذا نرى في العلاقة بين هذين الشخصين سمـات حادثة غرامية كبيرة مع شعور ضخم ، من الجدة والسلالة لا نشودتها اليائسة الحنون التي عرضت صورهـــا واجريت تجربتها في هذا الكتاب .

ويحاول مورافيا أن يجعـــل بطل القصة في محاولته الانتحار أن يحصل على رجةاو صدمة كتلك التي يحصل عليها باستعمال « الرجه الكهربائية » التي يعالجون بها مرضاهم . تم ينال في المستشفى « حيث أدخل اليه بعد محاولته الانتحار الهدوء والاستجمام « ويتوســل الاطباء فيه عادة بحقن المهدئات للحالات الحادة بحيث يبدأ بالتعرف على ذاته مجدداً في بطء وعلى مابينه وبين الواقع من علاقـة طبيعية وينتهي اخيراً الى الشفاء .

فمورافيا ينقذ « دينـــو » بوسائل « دينو » نفسه لا بوسائل مورافيا . ومرض دينو « ودينو لا يعرف ذلك » مرض اجتماعي ولذا لاسبيل له الى الشفاء إلا بتلك الحلول الاجتماعية والنظاميه لدى الواعـــين من النـــاس . فـــبرجوازي مثل « دينو » لاينقذ بتلك الوسائـــل التي يقدمها ذلك العالم نفسه الذي كان قد سبب مرضه وأنبت

في قلبه السوء والانحراف . وهكذا نرى ان مورافيا لم يتبع في معالجة بطلة إلا طريقاً محوراً ومبدأً منحرفاً ، ولم يأخذ بنظر الاعتبار مبدأه الحقيقي الذي يـــدين عالم « دينو » البروجوازي ادانة قاطعة جازمة .

وهكذا تتعاقب وتتشابك في هذه الرواية روايتان الى درجة لايمكن فصل بعضها عن بعض . ففي الرواية الاولى يقع « دينو » في غرام « سيسيل » لانهـا تخونه ، وتهرب منه ، وتصبح حقيقة ، وتحرره من الضجر . وفي الرواية الثانية : وهي شاعرية غنية مؤثرة بقدر مايكون القسم الاول عادياً وميكانيكياً ، فان « سيسيل » تهرب الى النهاية من « دينو » لان طبيعتها تتطلب ذلك تلك الطبيعة التي هي مجموع من السطحية والظلمة التي لايسبر لها غور . وينعكس ضجر « دينو » على نفسه ، فيقع في غرام نفسه . أو بالاحرى يغرم بضجر اكثر عمقاً وحقيقة وتلقائية من ضجره : وهو ما يتحقق ، في الحقيقة ، بسيسيل نفسها .

ولكن هل يعلم القارىء أن « مكسيم كور كي » ـ وهو من أكبر كتاب العصر الحديث ـ كان قـد طرق أبواب الضجر وعرف ماهية الضجر في مجتمع فاسد ، قبل مولد « ضجر » مورافيا بستين عاماً ؟

.. « إنك مضحك .. لاتغضب ولكنك مضحك ! وغريب إنك لازلت طيباً خيراً كما نعهدك مع أن لك الحق أن تكون ، الآن ، شريراً . إنك قوي ، وهـذا شيء جميل . ولك قلب ذكي » .

هذا ماقاله « تولستوي » لصاحبه « كور كي » وقد حدثه هـذا بحادثة وقعت له في ايام صباه حين كان يعمل بستانياً في حدائق ارملة احـد ضباط القياصرة الكبار ، والتي كان لها في حداثة سنها مقامها في الجمال والفتنة ، واخذت هذه الارملة تسري عن نفسها بعد ذبول فتنتها وجفاف عودها بتعذيب فتاتين تعيشان معها .

واخذ كور كي يداقع عنهما ، فاتهمته الارملة بانه عشيق الاثنتين ، ثم رفعت ثوبها وكشفت له عن القليل الذي تبقى لها لعرضه على الانظار . وقالت بافتخار وغرور : آلا ترى انني أحسن بكثير من هاتين الفارتين ! : فلم يتمالك (كور كي) دون أن يضربها بقطعـة من الخشب كانت بيدة على ظهرها ، ثم قدم استقالته من عمله على الرغم من الحاح الارلة عليه في البقاء .

إنه حادث عادي كعشرات من الحوادث الاعتيادية التي تقع في حياة البشر . ولكنه كان كافياً لتولستوي ليحكم على (كور كي) بانه ذو « قلب ذكي » .

والقلب الذكي نعني شعور القياس في اية علاقـــة انسانية ، وهو القدوة الفطرية على الحـكم في اي مظهر من مظاهر الحياة . غضب وقسوة امام الغضب والقسوة طيبة ورحمة امام الناس الضعفاء ، وسيطرة دائمة على النفس . إن هذا الـكاتب الكبير الذي قـــال الـكاتب الشهير توماس مان عند موته : ـ

« إن تفكيري يذهب اليوم الى الساحة الحمراء في موسكو حيث يودع الشعب الروسي ابنا قد بات له أبا » . أقول ان هذا الـكاتب كان قد كتب قبل اكثر من ستين عاماً عن الضجر في روايته (كونوفالوف) . وهي اول قصة يشرح فيهـا (كور كي) بوضوح تام عبقريته وافـكاره النيرة العميقة في وجوب ان يكون للأدب فائدة وان تكون منه عبرة وفية قيادة وهدف .

فالكتاب الأدبي الذي للأدب وحـــده وللكلمات المزخرفة المنمقة المرصوفة فقط هو كتاب ميت ، وهو مجهود عقيم . اما الكتاب الخالد فهو الكتاب الذي يضم مجموعة من الحقائق يتتبعها القراء ، حتى اجهل القراء ، فيجدون فيها معني الحياة « .

« كونوفالوف يصر على اسنانـــه ، وعيونـــه الرزق تلمـــع كالجمـــر المتهـــب . وانحـــني

على كتفي ، ولا يبعد عينه عن الكتاب . وكانت انفاسه الثقيلة تدغدغ اذني ، وينتصب منه شعر رأسي ، فتسقط شعيرات الرأس على عيني . وهززت رأسي لرفع الشعر عن عيني فأحس كونوفالوف بذلك فوضع يده الثقيلة على رأسي » .

كونوفالوف أمي فاسق خمار يعيش في الضجر . ويتخلص منه مؤقتاً بمحاولته قراءة الكتب .

فالضجر هو احد المشكلات الرئيسية لكتاب (كوركي) الذي يضم قصصاً مختلفة . ولكسب الضجر ، في محطة صغيرة للقطار في الريف ، تندفع شابة الى الانتحار ايضاً .

فهذا الضجر الذي يحل في أشد طبقات البروليتاريا فقراً ومسكنة إنما هو نتيجة حالة اجتماعية تشجع ظهور اسوء صفات الانسان واتعسها . فالثقافة مضادة للضجر والعمل هو الطريق الوحيد لكسبه . وهو بالنسبة لكوركي العمل الثوري ، أو اكتساب الوعي .

ويصل مورافيا اليوم فقط الى الضجو بكتابة الذي اسلفنا الخوض فيه والذي يمكننا النقد العميق لبعض محتوياته . ولنسم ضجر مورافيا « بضجر المثقفين »: كله كلمات وليس فيه علاج .. ولا حياة . ولا ارشاد ولا تعليم ولا قيادة فيه . وقد تنبأ (كوركي) في روايته « البروجوازيون الصغار » برلد هذا الاتجاه حين قال :

« إنه المظهر الثوري العقيم لثقافة ما ولطريقة تفكير تحارب الضجر أو تصفه ولكن لا لتظهر منه الجذور الاجتماعية التي سببته بل - ببساطة - لكي لا تضجر فقط!»

لم يكن لمورافيا اولاد ، وكان يعيش في شقة متواضعة. وما ان يحل عصر كل يوم ، إذا لم يزره صديق ، حتى يخرج من بيته للتنزه سيراً على الاقدام في تلك الطرق التي انبثقت منها سير حياة ابطال قصة « قصص من روما » . وما يكاد ينتهي من كتابة قصة حتى يتأهب لسفره طويلة . وهو يقول في هذا :

« السفر هوايتي الوحيدة » . ولقد زار الهند مؤخراً ، وهو يفضل زيارة البلاد الحارة وبلدان حوض البحر الابيض المتوسط والشرق ، لان بلاد الشمال تتركه بارداً لا تثير فيه الرغبة والاهتمام . بل كان يحاول الهرب عند زيارته للندن من البرد والضجر بالذهاب الى « السينما » مرتين في اليوم نفسه .

وترى في عينه بريق الرغبة إن سمع اسم مصر واليونان ولبنان العراق ويقول انه يعشق هذه البلاد عشقاً . وان كان يستطيب العيش في ايطاليا ايضاً ، ولكنه يرى أن ايطاليا إنما هي مدينة (روما) فقط ، إذ يكفي إن وصل الى مدينة ويكفى أن يشعر بانه غريب في بلاد اجنبية إذا ترك روما إلى ميلانو مثلاً .

هذه إلمامة سريعة خاطفة عن حياة هذا الكاتب الايطالي الكبير وفنه ، وأرجو ان اكون قد فتحت فيها باباً يلج منه الدارسون الى جنائن الأدب الايطالي لاقتطاف أجمل ما فيه من أزاهير ورياحين .

سيمفونيه في ليالي الحنين

« غاليتي ! . لاتستغربي أن يفيض قلبي بهذه الينابيع من الشعر أمام تيار حقدك الكافر المرير . فانه لما يجل بشهامتي حقاً أن أثبت لك يوماً بعد يوم أن هذا القلب لم يوجد ليجرفه الحقد . أنني أشعر بعدمية وجودي حينما تجف ينابيعي . فلا تستغربي أن يفيض قلبي بهذه الصفحات أنها أقل مايمكنني به أن أثبت لك أن هذا القلب لم يخلق الا ليخفق للحب ، وينبض للعطاء . ورب حرف .. أي حرف من يديك الحاقدتين ياغاليتي ، يلهمني أجمل ما قرأت ، وأروع ما كتبت » .

أحنُّ الى ليلى . . . وليلى قريبةٌ ... وليلى الى روحي من القلب أقربُ

أحنُّ الى ليلى ... الى طهر روحها ... الى هالة من طلعة الفجر أعذبُ

أحنُّ الى ليلى ... الى طيب ظلها ... الى نفحات من شذا الطيب أطيبُ

أحنُّ الى ليلى . . . رحب حبها ... الى عالم من منتهى الافق أرحبُ

أحن الى ليلى . . . الى رجع طيفها ... وهل طيف ليلى عن منى العين يغربُ ؟!

أحنُّ الى تلك العيون حزينة ... كأني بها من نبع حزني تشربُ

فديت العيون العاتمات كآبةً ... أما خلف هاتيك العيون توثبُ ؟!

أطلي . . هنا في مفرق الفجر شاعرٌ ... بأحزانه في فدفد العمر يضربُ

يجرُّ وشاح الكبرياء بغصةٍ ... ويزحف في صمت . . والليل يهربُ

يتوق إلى صدر جريح . . ومهجةٍ ... بأحزانها الدكناء وتشقى وتتعبُ

يتوق إلى روحي تعجُّ مواجعاً ... يشاركها أوجاعها . . فالشجا أبُ

يقاسمها أحزانها . . يشتكي لها ... كلانا فلا تأسي . . كلانا معذّبُ

أطلي . . . هنا في موجة الزيف شاعرٌ ... سوى للصباح الحلو . . لا . ليس يكتبُ

أريقي على صدري دموعاً حبيسةً ... فصدري الى شكواك أدنى واقرب

وألقي الى سمعي شجوناً دفينةً ... تموج حقول الشرق فلا وتخصبُ

كلانا جريحٌ يارفيقة . . مثخنٌ ... كلانا حزين . . مرهق النفس . متعبُ

كلانا مشوق بالجمال . . فويحنا ... أمن وحدة الاشواق نناى ونهرب ؟!

ولكنَّ ليلى لم تجد قطُّ شاعراً ... بهيم بها يوماً . . ويمضي يشبّبُ

تظنُّ رفيف الشعر لغواً وبدعة ... وما هو إلا الروح تشدو فتطربُ

وتنسج أحلاماً دفاء وضيئة ... تصبُّ لنا أشهى الخمور وتسكبُ

وتنقلنا من عالم مات وانتهى ... إلى أفق بالشمس يزهو ويرحبُ

وتوقظ في أرواحنا كل جذوةٍ ... نؤوم . . وقد كادت مع الريح تذهبُ

وما كل ذو شوق اليك بشاعرٍ فما الشعر بالأمر الذي ليس يصعب

وما كل من ناجاك بالشعر شاعرٌ ففي الناس غربان قماءٌ .. وأذؤبُ

ولكنّ نبع الشعر في الروح نفحةٌ من الله .: شلال سخيّ مذهّب

وما كل شعر يوهبُ الوحي صافيا ولكنْ صفيُّ الشعر بالوحي يوهبُ

وما كل من ناجاك ليلاي مبدعٌ فمثلي في نجواك لا . . ليس ينجبُ

★ ★ ★

أحنّ الى ليلى ... وليلى قريبةٌ وليلي إلى روحي من القلب أقربُ

ولكنّ ليلى لم يكن قطّ قلبها كريماً .. ولكن قلب ليلاي غيهب

أحنّ إلى شعر كعمري داكن إلى نبعني نور من الشمس أنجبُ

الى قسمات كالملاك براءة إلى جبهة غير الذرى ليس تطلبُ

إلى قامة ممشوقة القدّ غضّةٍ الى عزة معتدّة ليس تغلبُ

أحنّ الى بضّ الانامل في يدٍ وعدت بها يوما .. وما زلت أرقبُ

أحنّ الى الوجه الصبوح منوراً الى بسمة تفتر حيناً .. وتهربُ

أحنّ الى الثغر النبيذيّ ساكباً من الخمر أشهى ما يصبّ ويسكبُ

أحنّ .. ولولم التق في الكأس قطرةً فبي من هواها ما به الخمر يعجبُ

أحن إلى عطر الانوثة غازيا قلاعي .. وهل إلا الانوثة ترهب؟!

أحنّ الى ليلى .. الى وعد جنّةٍ منعمة .. غنّاء .. والوعد مطلبُ

أحبّ رفيف الياسمين صبيحة كانفاس ليلى لهفة الليل تلهبُ

أحبّ الصبا الميّاد في غنج جيدها ويغرقني ذاك الجبين المقطبّ

وليلى ربيع يغمر الكون بهجةً وليلاي غصن قاتم الزهر آزغبُ

وما حبّ ليلى أيها الشعر بدعةٌ ولكنّ هذا الحب دين ومذهبُ

ولوليم قلبي في هواها وامعنوا عتاباً .. ولو عابوا هيامي وأنبوا

لأنبأتهم أني وليلاي وحدةٌ وأنا محالٌ بيننا الظل يسربُ

وأني بها بالحور لست مبادلاً وأني في أخت لها لست أرغبُ

تغلغل في روحي هواها .. فليس لي ... من الحب .. من حبي لليلاي مهرب

* * *

وليلاي .. ليلى ألف هاو ومعجب ... والف محب جرح ليلاي يسحب

تخاطفها الابصار من كل جانب ... كأن عيون الكون ليلاي تخطب

وما كل ذي شوق اليها .. معاهد ... على البر .. أو في زعمه ليس يكذب

وما كل مفتون بها ذو أصالة ... رياح الهوى ما يدعي ليس تذهب

وما كل من يصبو لليلاي مخلص ... بدعواه .. ان الوعد بالحب يخلب

وما كل من يدنو ليخطب ودها ... يبر .. لأن البر في الحب يصعب

وما كنت مفتوناً بليلى .. وانما ... أحب لليلى ما لدي محبب

أحب ... ولكني أجل شهامة ... وأخطب من ليلاي ماليس يخطب

أحن الى روح لديها رقيقة ... مؤدبة قد جل فيها التأدب

وما كان حبي غير حبي لروحها ... ففي روح ليلى يستطاب الترهب

وما كان يأسي في هواها بقاتلي ... فآفاق حب الروح أسمى وأرحب

واني على عهدي بليلى .. ولو أبت ... هواي .. واني عهدها لا أخيب

فمن شيمة الاحرار حفظ مودة ... ولو للذي ينئيه عنهم تغرب

وحبي لليلى أيكة .. لا شجيرة ... بعراسقها عن مقلتي ، الكون تحجب

وحبي لليلى .. في حياتي ملاحم ... وحبي عبادات لها .. لا تشبب

ولو شهدوني ذات يوم موزعاً ... لألفوا خيالي عند ليلاي يسهب

ألا ليتني في مقلتيها سحابة ... تغلغل في احزان ليلى وتغرب

فديتك ... ماوزري إذا كنت شاعراً ... وان لم يكن حبي لليلاي ينضب ؟!

لقد كان قلبي .. بل وما زال موجعي ... فبالله ياقلبي .. الى أين أهرب ؟!!

* * *

من ديوان «أجمل من عمري»

ممدوح مولود

الضفدعة الثرثارة

كتل من اللحم المكدس تنطوي في مضجعي
ولهاثها المحموم يزفر في حنا ياأضلعي

★ ★ ★

وتعو تسألني
والهم يقتلني
وغمامة حيرى تظللني :
أتحبني ؟
أتحب جيدي ، مقلتي ، بدني ؟
وأقول والآهات تحترقني
وتكاد تكشفني :
أنا مولع بقوامك اللدن .

★ ★ ★

وترن ضحكتها مجلجلة
تهفو لمزمار وقيثار
فأرى كهوفاً في مساربها
تنداح من أنات أشعاري
أنا لم أعد أدري « أتلك أيدي ؟
هذي التي ترسو على يدها
وتشدها . ياخيبة يبست
في حلف صاحبها وسيدها

★ ★ ★

وتريد تسلبني
قلبا هوى في لجة الشجن
هذا الذي ماعاد يصحبني

★ ★ ★

قد عاش في واد سحيق المدى
بين بنات الجن والحور
يشدو على الحان خالقه
في منتدى للفن مسحور
وأسائل الماضي ليعلمني :
بعض حكايات وأخبار
ويطن من خلف الغيوب صدى
ليقول هذا لغز أسراري

★ ★ ★

وتصب في اذني
نفس الحديث البارد النتن :
أتحبني ؟
أتحب جيدي ، مقلتي ، بدني
ويطوف تذكار يؤرقني
ياغلطتي في سالف الزمن

★ ★ ×

يابرة الحاكي تعيد حديثها في مسمعي
ويزيد في هول المصيبة أنها تحيا معي

اللاذقية — نظير جابر

تفكير عن الخطيئه

بقلم : وليد قصاب

ان القتيل قد انتحر ، هكذا اثبت التحقيق ، واعتبرت القضية قضية انتحار ، اذ ليس أسهل من تأكيد هذه الحقيقة بهذا الاعتراف الذي كتبه القتيل بخط يده وضمنه امضاء . .

وكانت الورقة التي وجدها التحقيق الى جانب القتيل تحمل هذه العبارات :

انا عادل أمين اكتب معترفاً بأنني قد وددت أن اضع حد لحياتي التى أعيشها بعد أن قذفت كل ماتبقى لدى من طاقة وصبر على احتمالها ، فلا تأخذكم ريبة في أحد ، ولا تهتم شبهاتكم حول مخلوق ، فأنا الذي انهيت حياتي بيدي . . .

عادل أمين

بهذه الكلمات القليلة اقتنع البوليس بأن الامر لايعدو حادثة انتحار ليس لاحد يد فيها ، وعلى هذا الاساس طويت القضية واعتبر الحادث منتهياً ، واقتنع الكل حتى اقرب اقرباء القتيل بالرغم من انه قد تعذر عليهم أن يجدوا سبباً معقولاً يدفع القتيل الى الانتحار وهم لم يألفوه بينهم الا ضحوكا سعيداً . .

بيد أن واحدا فقط لم يستطع أن يقتنع بأن « عادل أمين » قد انتحر ، وكان هذا الواحد هو ابن القتيل الفتى النابه الذي له من العمر سبعة عشر عاماً ، لقد كان يدرك تماماً أن والده لايمكن أن ينتحر ، خاصه وهو معروف بأنه ورع تقي لايمكن أن يقدم على عمل كهذا ، بالاضافة الى أن الرجل كان يعيش حياة سعيدة هانئة لاينقصه فيها شيء من أسباب الرجاء والترف ، مع ولده الشاب ، وابنته الصبية ، وزوجته المخلصة العطوف . .

ولم تكن هذه الاسباب وحدها في الواقع هي التي جعلت الشاب يوقن بأن الحادثه ليست انتحاراً ، وانما هناك جريمة غامضة وراءها ، بل ان هناك أيضاً سبباً رئيسياً هو الذي جعل الشاب يوقن من شعوره ، ويشعر بهول تلك الجريمة ـ التي لم يعرها أحد التفاتا ـ التي اوتكبت بحق والده . .

ان الشاب ليدرك تماماً أن والده ليس على قدر من الثقافة غير المامه اليسير بالقراءة والكتابة بيد أن هذه العبارات التي كتبها والده قبل وفاته يبين فيها انتحاره قد ادرك هو للوهلة الاولى أن والده لايمكن مطلقاً أن يكتب بهذا الاسلوب بما لديه من المام يسير بالقراءة والكتابة . .

تعلق الشاب بهذا الخيط الرفيع من القضية وجعل منه محور بحثه واهتمامه ، غير أنه لم يطلع احداً عماذهب اليه في شكوكه ، لانه كان يعلم أن من غير المعقول ان يجد اذناً صاغية لما يقول ، بعد أن طوت الأيام القضية ، ونسيها التحقيق ، ولذا فقد انطوى على نفسه ، وراح يفكر بكل كبيرة وصغيرة علّه يستطيع اماطة اللثام عن هذة القضية الغامضة . .

وفي ذات يوم عثر بين اوراق شقيقته ـ عن غير قصد ـ

بورقه صغيرة ملقاة باهمال بين أوراقها ، ولكنه ما كاد يلتقطها ويقرؤها - بدافع لاشعوري - حتى أحس بذهول شديد ، وشعر كأنه يواجه شيئاً على قدر كبير من الاهمية وكاد زمام اعصابه أن يفلت من بين يديه ، لولا أنه تمالك نفسه وفتح عينيه ممعناً في قراءة الورقة مرة ثانية ، ولكنه كان متأكدا مما قرأ . . .

فلقد كانت الورقة تحتوي على عدة جمل متقطعة متفرقة ، ولكنها كانت جميعها محاولة لتركيز عدة عبارات لكتابة اعتراف شخص بأنه يود أن ينتحر . وكانت الورقة بخط شقيقته سعاد . . وعلى الصفحة الثانية للورقة قرأ نفس العبارات التي كان قد قرأها في اعتراف والده بأنه انتحر . .

أحس الشاب كأن يداً تعتصر قلبه بقسوه ، وفتح عينيه مذهولا يحدق في كل ما حوله ، وبعد أن غرق لحظات في تفكير عميق بعيد ، تركزت افكاره كلها في لحظة واحدة حول شقيقته سعاد . هل من الممكن أن تكون هي القاتلة هل تتورع أن تقدم على قتل أبيها ؟ . .

حار هذا السؤال طويلاً في رأسه ، والورقة ماتزال في يده يحدق اليها بذهول تام ، وتمنى لحظتئذ لو أن الارض تنشق فتبتلعه على ان يواجه مثل هذه الحقيقة المره ، وأخذ يعد كل الاحتمالات التي من شأنها أن توجد مثل هذه الورقة بين أوراق شقيقته ، انه لم يستطع أن يصل الى جواب ، وأول ما خطر بباله هل يمكن أن تكون سعاد هي التي كتبت ورقه الاعتراف ؟ غير انه عاد فاستدرك عندما تذكر أن الاعتراف الذي عثر به التحقيق كان مكتوباً بخط والده ليس في ذلك شك ، فاذا كانت سعاد قد كتبت الاعتراف الذي عثر به التحقيق كان مكتوبا بخط والده فكيف استطاعت ان تجعل والدها يكتب ذلك بخط يده ؟ حار ثانيه عند هذه النقطة ، ولم يستطع أن يجد لها تفسيراً ، ولكنه كان متأكداً من أن شقيقته سعاد ضلعاً في هذه المؤامرة الدنيئة . . .

وقرر بعد تفكير طويل ان يفاتحها بالامر مهما كلف الثمن وكان يحسب أنها لابد سوف تنكر ، ولربما استطاعت بشأن هذه الورقه التي عثر بها بين اوراقها - والتي يبدو أنها قد نسيتها عفواً - أن تختلق الف مبرر ومبرر ، وان تنتحل الف عذر وعذر ، ولكنه ازمع أن يفاتحها بالامر بشكل لايدع لها مجالا للمواربة والخداع . . .

وعندما عادت من مدرستها في المساء أحس وهو يتطلع اليها كأنه يتطلع الى عدو لدود ، وتردد برهة قبل ان يتقدم اليها ليقول : - سعاد . . أريد ان احدثك حديثاً هاماً . .

وتطلعت اليه في دهشة ، فلقد كان يخيل اليها دائماً أن أخاها هذا ليس الا طفلاً غريرا ، وعجبت إذ رأته الآن يحدثها بهذه اللهجة الجدية الرزينة ، لهجة رجل كامل رصين ، وهي التي ما اعتادت أن تبالي بكل مايقول لذا رمقته بنظرة جانبيه سريعه قبل أن تقول بازدراء :

- ماذا تقول ؟

- ان احدثك حديثاً خاصاً على انفراد . .

وعادت ترمقه ثانية كأنها غير مصدقة أن هذه اللهجة الجدية يتكلم بها أخوها هذا الذي يصغرها بثلاث سنوات

ولكنها احتفظت بهدوئها وقالت : قل ماذا تريد ..

فقال الشاب بلهجة عميقة حادة : الحديث مهم ..
ويجب ألا يسمعنا أحد .. فلندخل الغرفة ..

وبدون أن ينتظر جوابها ، دخل الغرفة ، فتبعته وهي ماتزال مشدوهة ، وعندما أصبحا داخل الغرفة ، سارع الى الباب فاغلقه ، ثم تقدم نحوها قائلا بهدوء ، وعبارات متزنة : - هل لى أن أسألك مالذي دفعك الى قتل والدك؟ ولو أن صاعقة انقضت فوق رأس الفتاة ، لما انتفضت كما انتفضت حينما سمعت كلمات اخيها . وفغرت فاها في دهشة وقد علا الاضطراب وجهها ، ثم صرخت بصوت مخنوق وقد غاص الدم في عروقها : - ماذا تقول ؟

فلم يأبه الشاب لصراخها ، بل مضى يقول في نفس الهدوء : - لاتحاولي أن تنكري ، فلدي من الاثبات الكافي ما يؤكد انك انت القاتلة ..

وعلى الرغم من أن الشاب كان يلقي باتهاماته جزافا ، الا أنه ظل محتفظا بثباته ، وهو يحس بان هذه هي فرصته الاخيرة ، وحاولت سعاد أن تقول شيئاً ، بيد ان اخاها قاطعها قائلا في حدة : - أنت مجرمة دنيئة النفس كنت أعرف هذا طويلا ، ولكنه لم يكن يخطر ببالي على الاطلاق أن تقدمي على قتل ابيك ... ايتها المجرمة ... ومرة ثانية حاولت الكلام ، ومرة ثانيه ايضاً حاول أن يقاطعها ، الا ان الفتاة رفعت صوتها صارخة في وجهه بغضب جامح : - اخرس .. اخرس .. كيف تجرؤ أن تقول هذا الكلام .. ان احداً لايستطيع أن يثبت ضدي شيئاً فابتسم الشاب ابتسامة هزيلة وقال ساخراً : عال .. اذن فلقد كانت جريمتك محكمة الاتقان ..

فصفعته على وجهه صفعه قوية وقالت بشراسة : - اية جريمة ؟ قلت لك ان أحدا لايستطيع ان يثبت ضدي شيئاً كانت حالة الفتاة أشبه بمجنون أطلق من عقاله ، اذ تقلصت عضلاتها ، وشحب لون وجهها ، وعلته صفرة تحاكي صفرة الموت ، ثم تشنجت فجأة عضلات يديها وجعلت تصرخ في قسوة : - لم اقتله .. لم اقتله .. هات دليلك ان كنت صادقاً ..

فتقدم الشاب نحوها بدون أن يفقد شيئاً من رزانته التي تشعرك أنه ذو أعصاب فولاذية : - استمعي - لقد عرفت منذ مقتل والدي أنه لايمكن أن ينتحر ، وذلك لسبب واحد فقط هو اسلوبك في كتابة الاعتراف ، لقد عرفت فوراً ان أباك - بما لديه من المام يسير بالقراءة والكتابة - لايمكن أن يكتب بهذا الشكل ، ولعلك معي في أن والدك أقرب الى العامي منه الى المتعلم ، فجعلت منذ ذلك الوقت ابحث وادقق حتى عثرت اليوم على هذه الورقة بين اوراقك ..

وقذف اليها بالورقة ، فتأملتها بذهول ، ثم تهالكت فوق احد الكراسي خائرة الاعصاب ، بينما تابع الشاب يقول : - فعرفت انك أنت التي ركزت الاعتراف على هذا الشكل ، ثم استطعت بطريقة ما أن تستكتبي والدك هذا الاعتراف ثم ارتكبت جريمتك الشائنة ، فخيل للجميع

أن الحادثة لا تعدو حادثة انتحار . .

سكت الشاب ، وراح يتطلع الى شقيقته ، بينما هدأت هذه الاخيرة فجأة كما تهدأ العاصفة بعد هياجها ، وراحت تنظر الى أخيها بعينين ذاهلتين . ثم فجأة طفرت الدموع الى عينيها ، فجعلت تنشج نشيجاً مؤلماً حاداً ، فتقدم الشاب منها في ثبات ، وقال بقسوة : انهضي ايتها الافعى .. أي دموع هذه التي تذرفينها الآن ؟ ولكن الفتاة ركعت تحت اقدام أخيها ، وراحت تقبلهما وهي تقول من خلال دموعها :- أخي .. أرجوك يا أخي سامحني .. أرجوك .. انني كما قلت مجرمة اثيمة ، لقد قتلت أبي بعد أن كتبت الاعتراف ، ثم نجحت في ان أجعله يكتبه بخط يده ، بعد أن جرعته بالاشتراك مع سمير خطيبي مادة مخدرة عنيفة التأثير ، كانت قادرة كي تبعث الخدر في أعصابه وتجعله أداة سهلة القياد بين ايدينا ..

فقال الشاب وهو يرفعها عن قدميه : ولكن لماذا فعلت هذا ؟

فقالت الفتاة وهي تمسح دموعها : لقد استطاع خطيبي اللعين ان يقنعني بأن اقتل والدي ، لأحصل على نصيبي من الميراث ، حتى يتزوجني ، ولست استطيع ان اصف لك مقدار حبي له ، وقد استغل اللعين هذا الحب عندما عرف انني لا يمكن ان اعيش بدونه ، فما زال بي يهون لي الجريمة حتى قمنا معا بارتكاب هذه الجريمة الشنعاء وعندما حاول الشاب ان يقول شيئاً ، فوجيء بشقيقته تخرج من الغرفة مسرعة وهي تقول :- لا كفرن عن ذنبي وخطيئتي .. سترى ماذا افعل . .

وحاول الشاب ان يتبعها ؛ الا انها اندفعت مسرعة كأنها الريح العاتية ، وسرعان ما اختفت في زحمة الطريق ، فلم يعد يعثر لها على اثر . .

في اليوم التالي كان الناس يقرؤون في صحف الصباح التي نشرت بخط واضح هذا العنوان :

فتاة تقتل خطيبها ثم تنتحر لأسباب مجهولة لم يستطع التحقيق ان يكشف عنها الستر ..

محمد وليد قصاب



حفره صغيرة

مشهد تمثيلي بقلم : هشام شيشكلي

المشهد « فسحة داخل حي شعبي ، يتوسطهـا معمل للبلاط في ركنه كوخ صغير من البلوك مغطى بالصفيح على جانب الساحة دكان - أمامها يجلس على كرسي صغير من القش شيخ متقوس الظهر يتكىء على عصا وينفث دخينة ، على الارض اعقاب دخائن صغيرة جـــداً اصوات رجال وصبيّة وسيارات »

شرطي : يا أولاد الى بيوتكم ، الم تشاهدا ميتاً ابدا ؟

« يتراجع الرجال بضع خطوات ، ويتراكض الاولاد ويقفون خلف جدار منخفض في ركن المعمل قرب « الدكان » الصغيرة . »

صبي اول : يا الله !! انهم ينزلونه ، الشرطي يفك الحبل عن عنقه ، هل تراه ؟

صبي ثان : اني لاأرى شيئاً ، ارفعني قليلا . . . يا الله ... انه شيء ، شعره ابيض ، العم ابو صطيف بذاته ، انهم يمددونه على المصطبة التي كان يصقل عليها البلاط

الصبي الاول : افٍ ... لقد تعبت انزل .

الصبي الثالث : سيحضرون كلاب بوليسية ؟

الصبي الاول : ايها الغبي ، انهم لايحضرون كلاب عند الموت .

الصبي الثالث : إذن ، متى يفعلون ؟

الصبي الاول : عندما يكون هنـاك سرقة ، يشم الكلاب رائحة المكان ويركضون حيث هرب السارق .

الصبي الثالث : وهل يعرفونه تماماً ؟

الصبي الاول : انهم لايعرفونه ، يشمون رائحته فقط ويتبعونها .

الصبي الثالث : واذا ركب سيارة ؟

الصبي الثالث : افْ ... لست أدري ... يلحقون السيارة .

الشرطي : ايها الملاعين ، هيا الى أهلكم .

الصبي الثاني : هيا .

الصبي الاول : ياه ... وجهك اصفر ،

الصبي الثالث : انه خائف ... يخاف من الاموات .

« يجري الصبي الثاني راكضاً ويلحق بـــه الآخرون ، يتنهد الشيخ ويتمتم بضع كلمات غير مفهومة ، يقف بجانبه رجلان »

الرجل الاول : هل عرفته ، انـــه ابو صطيف ، حارس معمل البلاط .

الرجل الثاني : ابو صطيف « الاختيار » حارس المعمل ... ايوه ايوه ... لا حول ولا قوة إلا بالله ،

الرجل الاول : وكيف مات ؟

الرجل الثاني : لقد شنق نفسه .

الرجل الاول : يا لطيف ، شنق نفسه ، متى حدث هذا ؟

الرجل الثاني : اليوم

الرجل الاول : ربما كان ذلك يوم الخميس ، او بالامس ، فقد كان يوم جمعه والمعمل مغلق وليس به غيره ؟

الرجل الثاني : لا ابدا ، بالامس شاهدته ،

الرجل الاول: اذن حدث هذا ليلة امس ،

الرجل الثاني : بل عند الفجر ،

الرجل الاول:وكيف عرفت ؟

الرجل الثاني : لقد صلى الصبح مع الجماعة في المسجد كعادته

رجل ثالث : أيوه .. ايوه ،لقد شاهدته يتوضأ ويصلي في الصف الاول وراء الامام

الرجل الاول: غريب، كيف شنق نفسه وهو مؤمن ومتدين؟

الرجل الثالث : سيذهب الى جهنم .

الرجل الثاني : يالطيف ، بل معلمه هو الذي سيذهب لجهنم .

الرجل الاول: معلمه ! ؟

الرجل الثاني : نعم اما سمعت ما يقولون ؟

الرجل الاول: لا !!

الرجل الثاني : يقولون ان معلمه سبب انتحاره ،هو السبب

الرجل الاول: لماذا ؟

الرجل الثاني : لقد اكل عليه حقه ، منذ زمن بعيد وهو يخبيء معه نقوده ، الليرات القليلة التي يقتصدها من قوته يخبئها معه لأنه كوخه في معمل البلاط غير أمين ويخشى ان تسرق منه .

الرجل الاول: ثم ..

الرجل الثانى : خلال العشرين سنة التي قضاها في المعمل بعد وفاة ابنه وزوجته اقتصد (٥٠٠) ليرة اخبأها لايام شيخوخته ، انه يعرف انه سيعجز يوماً عن العمل وان مرضه سيشتد ، ولذلك كان يقتطع من قوته .

الرجل الاول: ألم يأخذ منه اوراق ، سند ؟

الرجل الثاني : هل هذا معقول ؟ انه معلمه منذ عشرين سنة وفي هذه السنة اشتد عليه المرض . واصبح يعتقد ان أجله قد اقترب .

الرجل الاول: هل قال هذا

الرجل الثاني : نعم ، سمعته مرارا يقولها ، ماذا تتوقع من ابن سبعين سنة ؟

الرجل الاول: صحيح ..

الرجل الثاني : لقد قالها لامام الجامع ايضاً ، طمأنه واكد له ان الاعمار بيد الله ولكنه عندما قال له بأنه ينوي الحج وزيارة الرسول شجعه وبارك له .

الرجل الاول: وذهب لمعلمه يطلب المال ، ولم يعطه اياه ؟

الرجل الثاني ـ ليس هذا فحسب ، لقد انكر كل ماله ، انكر كل شيء وهدده بالطرد من المعمل عندما شدد علية الطلب وانذره بالشكوى .

« شاب صغير شديد السمنة يضحك »

الشاب الصغير : صحيح صحيح .

الرجل الأول: هل هذا وقت الضحك ايها الصبي ،الاتخجل؟

الشاب : الم تر صاحب المعمل ، انه يجبر على الضحك وهو

يتظاهر بالحزن ويقول « يا حويننك يا ابوصطيف من عشرين سنة ونحن مثل الاهل ، تعبت كثير يا ابو صطيف الله يرحمك ، رحمة الله عليك ، ها ها انه يرتعد من الخوف ويبكي

الرجل الاول : هل هذا يثير الضحك ؟

الرجل الثاني : دعه ... اذهب ايها الولد

الرجل الاول : اذن فقد يئس من الدنيا ، من العمل والمال والحج فانتحر ؟

الرجل الثاني : وهل هناك تفسير غير هذا ؟ على كل ، الله اعلم

الرحل الاول: لاحول ولا قوة الا بالله

صبي اول : انهم يأخذونه

صبي ثان : سيارة الاموات بيضاء هذه المرة .

صبي اول : كم مرة قلت لك اسكت ؟ انها سيارة الصحة سيارة الاموات لا تكون بيضاء انها دائماً سوداء..

صبي اول : مرحباً عم مسعود

الشيخ : مرحباً

الرجل الاول : عم مسعود انت هنا ، عدم المؤاخذة لم ننتبه لك

الرجل الثاني : صحيح عدم المؤاخذه (لرفيقه) كيف لم ننتبه له انه مكانه الذي لا يفارقه

الرجل الاول: هل ستخرج في جنازته ؟

الرجل الثاني : لن يكون هناك جنازة .

الرجل الاول: لماذا ؟

لرجل الثاني : لانه ليس له أهل

الرجل الاول: اذن سيأخذونه الى المقبرة يحفرون له حفرة صغيرة ويوارونه فيها هذه نهاية الانسان ...

الرجل الثاني : ليت هذا

الرجل الاول: كيف ؟

الرجل الثاني : حتى لن يتعذبوا بحفر قبر ، لقـد امتلأت « الجبانة » اصبحوا يفتحون القبور القديمـة وينزلون فيها الاموات الجدد .

الرجل الاول: ولكنها ستمتلىء ايضاً .

الرجل الثاني : لا ، انها كثيرة ، وريثما تمتليء يصبح الاموات الأول تراباً وهكذا ....

الرجل الاول: إذن ربما ينزلونه في قبر زوجته او ابنه

الرجل الثاني : ليت هذا ايضاً ،

الرجل الاول: و كيف ، الن يأخذوه بعد المستشفى الى القبر.

الرجل الثاني : لا بل الى المشرحة ، وهناك يصبح قطع صغيرة يتعلمون به الطب .

الرجل الثاني : ألم اقل لك ، ليس له أهل .

الرجل الاول: مساكين ... حتى مجرد قبر لن يكون له !

الرجل الثاني : وما الفارق ؟

الرجل الاول: أليس محزناً ان لا يكون للمرء في هذه الدنيا حتى مجرد حفرة صغيرة ، قبر صغير ؟

الرجل الثاني : صحيح ولكن من سيزوره ، سيبقى القبر وحيداً ايضاً ،

الرجل الاول: رغم هذا فان الامر يبقى غاية في الحزن دنيا فانية ...

« ينصرف الجميع ويبقى الشيخ قابعاً في مكانـه ينظر ببلاهـة » .

بقلم ـ هشام شيشكلي

الحالة الرابعة للمادة

لقد تعلمنا في المدرسة ، أن جميع المواد في الطبيعة تكون في احدى حالات ثلاث :

صلبة ، سائلة ، غازية . ولكن التطور العلمي السريع في السنين الاخيرة أظهر على أن المادة حالة رابعة . فما هي هذه الحالة ؟ وماطبيعتها ؟ وماهي الفوائد التي نجنيها من معرفتنا لها وسبر كنهها ! وهل يمكن رؤيتها في الطبيعة ؟ وهل يتطبق عليها القوانين التي تطبق على الحالات الثلاث ؟ هذا ما أود أن أجيب عليه في مقالتي هذه بشكل مبسط ليستطيع كل قراء هذه المجلة استيعابها وفهمها .

لقد أطلق العلماء على هذه الحالة الرابعة للمادة اسم « البلازما » نظراً للخصائص التي تميزها عن بقية الاجسام فاستجلبت بذلك انتباه العلماء اليها ، وأخذت تحوذ على اهتمامهم الجدي .

فمن المعلوم أنه كلما ارتفعت درجة الحرارة المسلطة على جسم ما ، كلما وهن ارتباط جزئياته المادية . ففي الاجسام الصلبة تكون الجواهر والذرات خاضعة لنظام صارم معين تتحرك ضمن اطازه . ولكن حركة هذه الجواهر والذرات في الاجسام السائلة ، غير خاضع لهذه الانظمة الصارمة . فهي تتحرك باشكال مختلفة بحركتها هذه بعض الحدود . أمة في الغازات فللجوهر والذرات حرية اكثر في التنقل والحركا وتجميع هذه الحالات يجب أن لا يعيب عن ذهننا أن كهارب هذه الجواهر ترقص رقصة منسقة على مدارها منذ الأزل . هذه الرقصة تعزفها لها او كسترا قوانين الميكانيك الكمي التي تملي عليها مداراتها .

ففي البلازما يمكن للكهارب ان تنفصل عن الجواهر ، وتأخذ كنتيجة لذلك الحركة هذه الجواهر والذرات التي فقدت قسماً من كهاربها تصبح مشحونة بشحنة كهربائية موجبة . هذه الشحنة ترمز لها بالشاره (ايون) .

فالبلازما بالتعريف غاز يتألف من ايونات موجبة وسالبة ، في نسبة تصبح فيها مجموع جميع الشحنات الكهربائية صفراً ، هذه الكهارب (الالكترونات) الحرة في حركتها ناقلة للتيار الكهربائي . وهذا مادعى العلماء بأن يدعوها بالغازات الناقلة للتيار .

البلازما وكيفية ناقليتها للتيار الكهربائي

مازلنا حتى هذا اليوم نستعمل الاجسام المعدنية الصلبة في التمديدات الكهربائية ففيها يوجد نفس الشيء من الالكترونات الحرة التي يمكن ان نرجع منشاها كنتيجة لكثافة الكهارب العالية ، التي تظهر هذه القدرة العالية للنقل فالجواهر هنا مضغوطة على بعضها بشكل يظهر أن طبقات كهاربها « ستتهدم » أما في البلازما فهناك قوى مختلفة اخرى تنزع هذة الالكترونات ، هذه القوى ناشئة عن حركة الالكترونات السريعة ، والتأثير الضوئي ، والتفريغ الكهربائي .

هذه الخصائص الفريدة المدهشة التي تتمتع بها البلازما تدعو لأن تأخذ استعمالا واسعاً في الصناعات الحديثة ، كناقل للتيار وكوسط للحرات المعالية . ففي الكهرباء التقنية تكون البلازما أحسن بالضامره - اذا لم يكن بمليون مرة - من المعادن نقلا للتيار .

مشاهدتها في الطبيعة .

منذ مدة قصيرة بدأ الفيزيائيون يتكلمون عن البلازما ففي الحقيقة رآهـا كل واحد منا . فالبرق والشرارة الكهربائية عندما يتلامس قطبا التيار الكهربائي ، والشرارة التي تقفز من ناقل لآخر تتألف من تفريغ كهربائي بلزمي في الهواء . فكل منا رأى أنوار الدعاسات الكهربائية عند قيامه بنزهة سائية في شوارع احدى المدن الكبرى . ولكن لم يفكر كل واحد أن الضوء الصادر عنها ما هو الا بلازم الغازات الخاملة كالنيون والأرغون . فكل مادة نحميها الى حرارة كافية ، تتحول الى حاله بلزميه . هذا التحول يحصل أسهل مايحصل ببخار القلويات المعدنية كالصوديوم والبوناسيوم وبخاصة في اثقل واحد منهم وهو السيزيوم . فاللهب العادي ينقل التيار الكهربائي بصورة جزئية . وهو ايضاً متأين وان كان بشكل قليل جدا اي انه بلازما ، ولكي نحصل على بلازما متأنية كلياً يجب أن تكون الحرارة مرتفعة الى اكثر من عشرة الاف درجة .

وجودها الكوني

قليلا ماتظهر البلازما في الشروط الارضيـة . ويعود سبب ذلك الى برودة أرضنا . وهذا ما يجعل ارضنا تشكل حالة شاذة . أما في الكون فان الكتلة الرئيسية للمادة متأنية ، أي انها توجد بشكل بلازمي . فالتأيين يحصل في النجوم كنتيجة لارتفاع درجة الحرارة ففي المجموعة الشمسية تتألف الشمس التي كتلتها اكبر من كتلة الارض بثلاثمائة الف مرة فقط من البلازما فالطبقات العليا للجو الارضي تتأين من تأثير اشعاعات الشمس فهي تتألف ايضاً عن البلازما فنسبة التأين للطبقات الجوية العليا تابع لبعد هذه الطبقات عن الشمس .

مقاونتها مع النار

كان الانسان يعتقد في العصور القديمة أن الطبيعة تتألف من أربعة عناصر او بالاحرى من أربعـة مواد أساسية : التراب ، والماء والهواء والغاز . فالثلاثة الاول تعادل حالة المادة الصلبة والسائلة والغازية . فلماذا نتكلم اذاً عن حالة المادة الرابعة وهي البلازما . فالمادة الاساسية الرابعة أي النار تعادل البلازما التي تحوي جميع الفراغ الكوني ! وان بين البلازما والغازات لايمكن ان نشاهد حدوداً فاصلة ! فالبلازما تخضع لقوانين الغازات وفي كثير من الأحيان تتشابه معها . فلماذا اذا نتكلم عن البلازما كما لو كنا نتكلم عن مادة جديدة رائعة .

ولكن نظرة عميقة لهذه التساؤلات تجعلنا نضع حدودا فاصلة لها .

فللبلازما صفات غير عادية . هذه الصفات تظهر عندما نسلطه ساحة مغناطيسية شديدة عليها . فعندها نرمز لهـا بـ (بلازما ممغنطه) واليك شرح ذلك .

لقد ذكرت آنفاً ان الكهرب في الجوهر يرقص حول النواة رقصاً رتيباً . في حين أن كهرب البلازما يخبطخبط عشواء أي مثل الذرات في الغاز . ولكن من اهم صفات البلازما أنها تفود جزئياتها وترتبها . ولكن من هي صاحبة السلطة الكبيرة الذي يستطيع أن يجبر الكهارب الفوضوية ان تترتب وتنتظم ! صاحبة السلطة الكبيرة هذه هو الحقل المغناطيسي . فهو الذي يجبر الكهارب في البلازمـا على ان تمشي مشية رتل عسكري منظم ودقيق .. وعلى هذا فاننـا نستطيع ان نوقف البلازما بواسطة الحقل المغناطيسي فهو كشباك صياد ماهر يجمع يصطاد كل ماعلق بشباكـه من أسماك . وعلى هذا نستطيع أن ندعو هذا الحقل المغناطيسي بالمصيدة المغناطيسية بالمصيدة المغناطيسية . ففي ساحـة

مغناطيسية قوية بان جزئيات البلازما تدور حول خطوط الساحة المغناطيسية وعلى استقامة هـــذه الخطوط تتحرك الجزئيات بحرية . فمحصلة هذه الحركة الحرة والدوران تعطينا شبه حركة حلزونية. اما اذا حرفنا البلازما بصورة مقطعية على الساحة المغناطيسية فعند ذلك تسحب البلازما خطوط القوى خلفها . بهذه الحالة نقول ان جزئيات البلازما « ملصوقه » على خطوط القوى او ان الساحـة المغناطيسية « تبردت » على البلازما . فقانون التبرد هـذا ينطبق فقط على البلازما الساخنة حيث ان الجزئيات تهرول متجانبه بدون أن تلتصق مع بعضها .

هذا النوع من البلازما لاتقدم الى التيار الكهربائي أية مقاومة . وعلى هذا فان ناقليتها كبيرة جدا . اما البلازما الباردة فذات ناقلية ضعيفة وذلك لان تصادم جزئياتها تمكن الحقل الساحة المغناطيسية من التخاخل داخل البلازما .

انواع البلازما

هناك نوعان من البلازما كما لاحظنا سابقاً وهما البلازما الباردة والبلازما الساخنة . فحن نتكلم عن البلازما الباردة يجب ان لايغيب عن ذهننا ان الحرارة العادية لها لايمكننا ان نقارنها مع بقية الحرارات . فالوحدة الحرارية هنا هي فرق الطاقة الالكترونية التي تعادل ١١٦٠٠ درجة .

فالبلازما ذات العشرة آلاف او المائة الف درجــة يرمز لها الفيزيائي (بالبلازما الباردة من ذوات فرق الطاقه الالكتروني المحدود) اما البلازما الساخنة فيقيسها الفيزيائي بمئات فرق الطاقة الالكترونية) ،هذا يعني بملايين الدرجات

وعلى هذا فاننا نستطيع اصطناعياً أن نحول النـار الى حالة البلازما لأن تسخينه الى هـذه الدرجة من الحرارة غير ممكن . لأن الانسان لايستطيع في مثل هذه الحالة ان يحجزه : فلا يوجد حتى الان اي حاجز صلب يستطيع ان يقاوم هذه الحرارة . وكذلك فان الغاز يتطاير في هذه الحالة منفصلا بعضه عن بعض . أما البلازما الساخنه فأنه يمكننا تجميعها بواسطة الساحة المغناطيسية . فجزئياتها تدور بشكل حلزوني حول خطوط القوى ولا تسمح لها بمغادره هـــذه الخطوط كالقطار الذي لا يسمح له بمغادرة خطوطه . ففي البلازما كما هو في قطارات السكك الحديدية نادراً ما تحدث الاصطدامات . وذلك لوجود تجهيزات وآلات الضـمان ففي جميع الاوقات التي يحصل بها الدوران فان الجزئيات لايسمح لها ان تلامس الجدار . وعلى هـذا الاساس يقوم مبدأ المصيدات المغناطيسية المختلفة لحجز البلازمـا الساخنة

فمما يدعو الى الاسف انه برهن على ان الجزئيات ليس فقط من جراء تصادمها ببعضها تبتعد عن خطوط القوى . وانما هناك سبب آخر يمنع حركه الجزئيـة النظامي وهو التبادل الجماعي . فأي خلل يحدث من جراء احـــد هؤلاء الجماعه فان الاضطراب يتسرب الى بقية الجماعة . هذا الخلل يدعى بعدم الاستقرار . هذه الظاهرة كثيراً ما تظهر في في البلازما .

ومن اهم وظيفة الفيزياء الحديثة هو استحصال وجمع البلازما الحارة . وذلك يكون بايجاد ماده تستطيع تسخينها ـ ٢٦ تلك الدرجة من الحرارة ولو ثانية واحدة وتستطيع المقاومة . وفي مثل هـذه الحالة يجب ان نتخذ سلسلة من الاجراءات نستطيع بها ان نمنع البلازما من التصادم مع الجدران حتى لاتفقد طاقة . فتلبيس البـلازما بالجدران دون ان تلامسها مستحيلة كما لو اردنا ان نغلي الماء بوعاءمن

الجليد . ولكن لمنع هذه البلازما ان تصادم الجدران علينا ان يجبرها أن تتحرك بمدار منتظم مغلق . وهنا تبدأ وظيفة المصيدة المغناطيسية . ولتأدية وظيفتها هذه فان خاصية عدم الاستقرار للبلازما يعيقها عن اداء ذلك .

فهذه الحالة يمكننا تشبيهها بتلاميذ خرجوا من صفوفهم الى باحة المدرسة المغلقة فالايونات والكهارب تتجه باتجاهات مختلفة في بادىء الركض يتصادمون بالجدران ويضربون بعضهم البعض. وماهي النتيجة لذلك. هي اسرافهم بتضييع قدرتهم الثمينة .

جالة البلازما داخل الشمس

ان الحرارة البلازمية المرصوصة داخل الشمس تعادل اكثر من ١٠٠٠٠٠٠٠ درجة كالفن . بهذه الحرارة العالية تتصادم نواة الذرات مع بعضها فمن جراء ذلـــك تتلاحم وينتج عن ذلك تفاعل نووي حراري يتحول به الهدروجين الى هليوم وتنطلق من جراء ذلك حرار هائلة . هذه القدرة المنبعثة من الشمس هي دوما منبع الحيـــاة على الارض . والسؤال الان هل يمكننا ان نروض هـذا التفاعل النووي الحراري ونجعله أليفاً ونستفيد منه . ؟ من المعلوم ان مولد الماء يعطي بحرارة عالية نسبياً قدرته بشكل بطيء . فقط كتلة الهيدروجين الهائلة الموجودة في الشمس وتلاحم مراكز ثقلها مع بعضها تجعل الشمس منبع هائل للقدره . فالعناصر الثقيلة للهيدروجين كالدويتيريوم والتريتيوم تعطي قدرتهـا بشكل سريع .

فاذا ما نجحنا ان نثبت هذه القدرة من ذوات العشرة ملايين درجة في ساحة مغناطيسية ونعلق عليها فاننـا بذلك نكون قد حللنا مشكلة القدرة النووية الحراريه .

وعلى هذا فانه من المسلم به قبل كل شيء ان نحل قصة عدم استقرار البلازما . فقط هذه الصعوبة المعقدة الوحيدة التي على العلماء ان يتخطوها . وعلى هذا فانه حتى الان لم يستطع احد القول ما اذا كان حلها قريباً وما هو الطريق للوصول الى ذلك .



«الغيرة»

- سأوجه لك بعض الاسئلة ياأستاذ وديع أرجو الاجابة عليها .

- تفضل .

وفتح المفتش دفتر ملاحظاته وأمسك بقلمه وهو مستقر على طاولة المدير :

- حسناً . اشرح لنا عما جرى بين المدير والمعلمة فريال يوم امس .

أطرق وديع طويلاً وكانه يريد أن يستجمع شتات ذكرياته وقال :

- قبل ان اسرد لكم تفاصيل الحادث اسمحوا لي ياأستاذ ان أبدأ بلمحة موجزة عن تاريخ المدرسة .

- تكلم ماتريد .

- خمس سنوات امضيتها هنا ، في هذه المدرسة والمعلمة فريال المسؤولة الاولى رغم وجود المدير الشرعي . لقد انتزعت هذه المسؤولية انتزاعاً وذلك لتفانيها في القيام بواجبها . وقد شعرنا جميعاً بتفوقها واخلاصها فتخلفنا وبقيت لوحدها في خضم العمل المضني تصارع دون تعب او ملل وان كان جسمها الصغير وبنيتها الرقيقة لا تقاومان حيث اكل منها السهر والعمل فأصبحت كقطعة من اثاث المدرسة ، ولكن قوتها المعنوية جعلتها تصمد امام تيار العمل الجارف وايمانها القوي زادها صلابة بوجه الانحراف .

وهنا قاطعه المفتش :

- اشرح لنا بالتفصيل عن سلوك فريال الشخصي .

الاخت فريال ياأستاذ اكثر النساء تديناً . انها متعصبة ولكنها ذات ايمان متين لا يتزعزع ، تؤمن بقرارة نفسها انها تفهم الله حق الفهم . ان كل شيء في رأيها خلق ليمجد قدرة الخالق وعلى جميع البشر أن ينصرفوا اليه كلياً وأن يتطلعوا الى السماء دوماً دون أن يخفضوا بصرهم إلى الارض فيسقطوا في هوة الرذيلة المتفشية في دنيانا . وقد كانت تذكرنا بذلك دوماً ولكن شباب المعلمات والمعلمين وحيويتهم جعلهم يهزأون بآرائها فما زادها يوماً بعد يوم حقداً واحتداداً وسخطاً فمنعت الاختلاط وبثت العيون وبقيت المدرسة تدار بيد فريال الحديدية والامور تسير بشكل منظم وصارم الى ان انتقل المدير السابق والتحق المدير الحالي وبدأ العهد المدرسة الجديد . لقد شعرنا جميعاً بحيويته وبنشاطه منذ الايام الاولى حيث هدم الحاجز الذي أقامته بيننا الاخت فريال ورسم لنا طريق العمل المشترك ، ولم تمض سنة واحدة على ادارته حتى اكتسبت المدرسة مجتمعاً جديداً غير التعلم ، مجتمعاً كله الفة ومحبة وانسجام وقد اصبح بيته وبيوت المعلمات والمعلمين ملتقى السهرات والاجتماعيات حتى اصبحنا اسرة واحدة الا فريال فقد اعتكفت على نفسها وكأنها ليست زميلة لنا واخذت الاشاعات والاقاويل تحوم حول المدرسة . ابتدأت اشاعات

بسيطة ثم كبرت وانتشرت ومع كل هذا والمدير مستمر غير هياب حتى كان الاصطدام الذي حدث يوم امس بينه وبين الاخت فريال .

ـ حسنا . تكلم لنا بصراحة وصدق عن الحادث .

ـ طيب . لقد دخلت المعلمة فريال الادارة صارمة التقاطيع مصفرة الوجه تعبر قسماتها عن حقد وغضب شديدين وانفجرت صارخة : « انني لأربأ بنفسي العيش في بؤرة الفسق هذه » فنهضت اليها مسرعاً ومنعتها من الصراخ وبعد أن هدأت ثورتها اخذت في سرد قصتها : لقد رأيت المدير في وضع لا أخلاقي مع ـ وهمس المعلم وديع باسم سعاد بصوت منخفض ـ وهذه ليست المرة الاولى التي اشعر بعلاقاته المشبوهة . لقد أرسل زوجه الى اهلها للولادة وبقي وحيداً ففكرت أن اقدم له بعض الخدمات . حضرت اليه صباح يوم باكراً فوجدت عنده سلمى وكانت ثوب الليل وادهشتني المفاجأة وانتشرت الفضيحة . كلا لم أكن السبب في نشرها . ربما شاهدها عنده أحد غيري . ربما الفتيات أغرينه وسعين الى فتنته ومع هذا فانه لا يصلح لأن يبقى بيننا في هذا الحرم المقدس كان الجميع يرهبونني ويطيعونني وينفذون أوامري حتى استقامت المدرسة واصبحت مناراً للعلم ومنبعاً للاخلاق أما الآن ، في عهده ، أف ، لقد هدمت عواطفه الرخيصة في أشهر مابنيته من صرح شامخ دعائمه الفضيلة والاخلاق في سنين . وقد اشتد انفعالها وعلا صراخها فدخل المدير هائجاً وتقدم نحوها رافعاً يده وهو ينعتها أقبح النعوت ويصفها بالجنون فهدأت من ثورته وأجلسته على طاولته وأخرجتها الى الباحة .

انتهى المعلم وديع من شهادته فأغلق المفتش دفتر الملاحظات واعاده الى حقيبته وهو يقول :

« حسناً سأتم التحقيق يوم غد » . وانصرف مودعاً وقد بقيت غارقاً في ذهولي . حقاً لقد استطاعت فريال أن تخدع الجميع فأجادت تمثيل دور المرأة المتعصبة التي تعذبها الخطيئة كما تجيد دور العاشقة كلما غرقنا أنا وهي في قبلة محمومة .

دير الزور   ابو مواهب

